أجاثا كريستي

شَرْخ في المِرْآة

دار النجمة للنشر والتوزيع

شَرْخ في المِرْآة

بسم الله الرحمن الرحيم

أجاثا كريستي

شَرْخ في المِرْآة

دار النجمة للنشر والتوزيع

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر:
دار النجمة للنشر والتوزيع

يُمنَع تصوير أو إعادة إنتاج هذا الكتاب
ورقياً أو إلكترونياً إلا بإذن خطي مسبَق من الناشر

للاستفسار والطلبات التجارية
AgathaBooks@sardira.com

الفصل الأول

كانت الآنسة جين ماربل تطلّ من النافذة التي تشرف على الحديقة وهي تتحسّر على الماضي؛ إذ لم يعُد مسموحاً لها بمباشرة أعمال الحديقة لاعتلال صحّتها وعدم قدرتها على الانحناء، أضِف إلى ذلك أن البستاني الكهل لايلوك كان ينفّذ تعليماتها على الوجه الذي يحلو له هو. ثم حوّلت الآنسة ماربل بصرها عن الحديقة لتشغل نفسها بالتطريز وهي تفكر في التغيير الذي طرأ على قرية سانت ماري ميد. لقد تغيرت معالم القرية كثيراً، ولكن محلّ البدال والكنيسة والأبرشية لا تزال على حالها، أما الأراضي الخضراء التي كانت في أطراف القرية فقد تحوّلت إلى منطقة سكنية حديثة. وعندما وصلت أفكارها عند هذا الحدّ توقّفت وهي تفكر في المجتمع الحديث الذي نشأ في المنطقة الجديدة.

وتململت الآنسة ماربل باستياء عندما اكتشفت أنها نسيت غُرزة، ثم تحوّلت أفكارها نحو شيري خادمتها الشابة، واسمها السيدة بيكر، وهي تسكن في المنطقة السكنية الحديثة، ولكن ليس معنى هذا أنها تنتمي إلى أسرة

فقيرة؛ فمعظم الأزواج في المنطقة الحديثة يتقاضون مرتبات مرتفعة، إلا أن متطلبات الحياة العصرية وكثرة الأقساط تدفع الزوجات إلى العمل كطاهيات أو خادمات للمحافظة على مستوى المعيشة المرفهة.

وكانت شيري طاهية ممتازة نشطة إلا أنها تختلف كثيراً عن الخادمات السابقات اللائي كُنّ أقل تعليماً وأكثر استجابة وطاعة لمخدوميهن، ولم ينتهِ ذلك الطراز تماماً؛ فهذه هي الآنسة نايت توفّر للآنسة ماربل كل ما تحتاج إليه من خدمات، ولكنها تبالغ في ذلك إلى درجة مثيرة للأعصاب.

ثم تذكّرت الآنسة ماربل رايموند ابن أخيها الذي تعطّف عليها بإرسال تلك الخادمة إثر إصابتها بنزلة شعبية وإصرار الطبيب على عدم مبيتها في المنزل وحدها، ثم تذكّرت الآنسة ماربل أن وقت استيقاظ الآنسة نايت من غفوة بعد الظهر قد حان، وأنها سرعان ما ستراها مقبلة لتبدأ ثرثرتها قبل أن تخرج للتنزّه. ولم تكَد تلك الفكرة تطرأ على ذهنها حتى رأت الخادمة مقبلة، فقالت الآنسة نايت: أرجو أن تكوني قد استمتعت بقسط من النوم.

فقالت الآنسة ماربل: كنت أقضي الوقت في التطريز، ولكنني أغفلت غُرزة.

- حسناً يا عزيزتي، سنصلح هذا الخطأ في الحال.

ولم تكُن الآنسة ماربل راضية عن مناداتها بعزيزتي، ولكنها قابلت الآنسة نايت بابتسامة شاحبة، ثم قالت الخادمة العجوز: سوف أخرج الآن لأتنزّه سيراً على الأقدام ولن أتأخّر كثيراً.

وأرادت الآنسة ماربل أن تنعم بالوحدة أطول فترة ممكنة، ولذا كلّفت الخادمة العجوز بشراء مجموعة كبيرة من الأشياء، وعندما انصرفت الخادمة ارتدت الآنسة ماربل ثياب الخروج وهمست لنفسها قائلة: سوف تحتاج إلى ساعة ونصف كي تحصل على كل هذه المشتريات.

بادرت الآنسة ماربل بالخروج فعبرت الحديقة إلى الخارج بسرعة وهي تشعر بالسعادة، ثم توجهت نحو الجسر الذي يعلو الترعة كي تعبر إلى الجانب الآخر. وتنهّدت بحسرة وهي تنظر إلى المنطقة السكنية الحديثة التي كانت في الماضي مُروجاً خضراء تحفل بالأبقار، وعندما استدارت نحو والسنغهام كلوز شعرت بروحها المعنوية ترتفع؛ فقد تغيرت المناظر والملابس ولغة الحديث، ولكن البشر ظلوا على حالهم، فهم نفس البشر الذين ساروا فوق تلك الأرض، كما أن موضوعات الحديث هي هي لم تتغير.

استمرّت الآنسة ماربل في جولتها الاستكشافية حتى وصلت إلى كاريسبروك كلوز التي كانت معظم بناياتها لا تزال تحت الإنشاء. وبينما كانت تنظر بفضول إلى شاب وشابة يتحدثان تعثّرت قدمها فسقطت على الأرض،

فهرعت إليها سيدة كانت تقف على عتبة دارها وساعدتها على النهوض قائلة لها بعطف: أرجو أن لا تكوني قد أُصبت بكسر. إنك ترتجفين قليلاً.

وكانت السيدة في نحو الأربعين من عمرها ذات شعر كستنائي تتخلله بعض الشعيرات الرمادية، ثم دعتها إلى الدخول كي تقدّم إليها قدحاً من الشاي، وعندما جاءتها بالشاي قالت لها برقّة: سوف أصبّ لك الشاي، ومن الأفضل أن أضع لك كثيراً من السكّر.

- شكراً لك، أنا أشرب الشاي دون سكّر.

- بل يجب أن تتناوليه بالسكّر؛ فقد تعرّضت لصدمة. لقد عملت في أثناء الحرب في وحدة الإسعافات الأولية، وعندما تشربين الشاي سوف تشعرين بتحسّن كبير.

وفي تلك اللحظة دخل رجل نحيل شاحب الوجه فقالت السيدة: هذا زوجي آرثر.

ثم شرحت السيدة لزوجها أسباب وجود العجوز الغريبة، ثم قالت الآنسة ماربل له: إن زوجتك شديدة الكرم يا سيد...

- اسمي بادكوك.

- أرجو أن لا أكون قد تسبّب في كثير من الإزعاج لزوجتك.

- لا، هيثر تستمتع بأداء الخدمات للآخرين. هل كنت متّجهة إلى مكان معيّن؟

- لا، لقد كنت أقوم بنزهة قصيرة. أنا أعيش في قرية سانت ماري ميد بالقرب من الأبرشية، واسمي ماربل.

فصاحت هيثر قائلة: يا إلهي! إذن أنت الآنسة ماربل؟ لقد سمعت عنك الكثير، أنت التي تميطين اللثام عن أسرار الجرائم. لقد سمعت أن بعض الجرائم وقعت في هذه القرية، ومما سمعت أنه قد وقعت جريمة في بيت كوسنغتون. لا شك أن ذلك البيت مسكون.

- لم تُرتكب الجريمة في بيت كوسنغتون، وإنما نُقلت إليه الجثّة من مكان آخر.

- هل عثروا على الجثّة بالقرب من المدفأة حقاً؟

فأومأت الآنسة ماربل برأسها في حين قالت هيثر: ربما حوّلوا تلك القصة إلى فِلم، ولعل هذا هو السبب الذي دفع مارينا غريغ إلى شراء بيت كوسنغتون.

- مارينا غريغ؟

- نعم، هي وزوجها المخرج... لا أذكر اسمه، أظن أنه جاسون أو شيء قريب من هذا. إن مارينا غريغ فاتنة، ولكنها لم تظهر في كثير من الأفلام خلال السنتين الأخيرتين لأنها كانت فريسة للمرض لفترة طويلة. إنها لم تعُد شابة

ولكنها لا تزال ممثلة قديرة، وقد كنت من أشدّ المعجبات بها عندما كنت في سنّ المراهقة. ثم كانت المفاجأة الكبرى، وهي أن مارينا غريغ جاءت لتفتتح حفلاً ضخماً أقامته جمعية إسعاف سانت جون في برمودا، ولكن تصادف أنني مرضت في ذلك اليوم وارتفعت درجة حرارتي، وقال الطبيب إنني لا أستطيع الخروج، ولكنني لم أشأ أن أترك فرصة اللقاء بالممثلة الكبيرة. ولم أكُن أشعر أن مرضي شديد، ومن ثم وضعت على وجهي قدراً كبيراً من المساحيق وذهبت إلى الحفل، وقد ظلّت الممثلة تتحدث معي ثلاث دقائق ثم أهدتني صورة عليها توقيعها. أنا لن أنسى ذلك اليوم أبداً.

فنظرت الآنسة ماربل إلى وجهها برهة ثم قالت لها: لعل ذلك تسبب لك في شدّة وطأة المرض.

فضحكت هيثر بادكوك ثم قالت: لا، إطلاقاً.

وعلق آرثر على ذلك بقوله: عندما تنوي هيثر عمل شيء فلا شيء يحول بينها وبين ذلك.

فتمتمت الآنسة ماربل لنفسها قائلة بصوت هامس: تماماً مثل أليسون وايلد.

فقال السيد بادكوك بدهشة: عفواً يا سيدتي، ماذا قلت؟

- لا شيء، إنها مجرّد سيدة كنت أعرفها.

ونظرت إليها هيثر بفضول فقالت الآنسة ماربل: عندما

استمعت إليك تذكّرتها. هذا كل ما في الأمر.

- أحقاً؟ أرجو أن تكون سيدة لطيفة.

- لقد كانت سيدة لطيفة جداً، وكانت رقيقة ومملوءة صحة وحياة.

فقالت هيثر ضاحكة: ولكنني أظن أنها كانت لها أخطاؤها أيضاً، وأنا أيضاً لي هفواتي.

- حسناً، لقد كانت الأمور من وجهة نظر أليسون تبدو واضحة لها تماماً، إلا أنها لم تكُن تفطن إلى مدى تأثير ذلك على الآخرين.

فقالت هيثر باهتمام: وماذا تفعل صديقتك الآن؟

فتردّدت الآنسة ماربل برهة قبل أن تقول: أليسون وايلد؟ لقد ماتت.

* * *

الفصل الثاني

قالت السيدة بانتري: أنا سعيدة لعودتي على الرغم من أنني قضيت وقتاً ممتعاً.

فأومأت الآنسة ماربل وهي تتناول قدح الشاي الذي قدمته إليها صديقتها.

عندما مات الكولونيل بانتري منذ عدة سنوات باعت زوجته السيدة بانتري بيت كوسنغتون وقدراً كبيراً من الأرض المحيطة به، واستبقت لنفسها الملحق الشرقي للبيت بعد أن زوّدته بحمّامات حديثة ومطبخ على أحدث طراز، كما قنعت بالحديقة الصغيرة المحيطة بالبيت كي يكون لها عالمها الخاص. وكانت تقضي خلال الفترة الأخيرة معظم أوقاتها في الخارج مع بناتها وأحفادها، ثم انتقلت ملكية البيت بين أكثر من يد حتى اشترته مارينا غريغ.

قالت السيدة بانتري: أتعتقدين أنها بلغت الخامسة والأربعين أم الخمسين؟

فرجحت الآنسة ماربل أن تكون في الخمسين، فقالت

السيدة بانتري: إنها لم تعُد تظهر كثيراً في الأفلام، ويقال إنها كانت تعاني من انهيار عصبي خلال السنوات الأخيرة بعد طلاقها من أحد أزواجها السابقين.

– هذا شأن أغلب الممثلات، فحياتهن يشوبها الكثير من الملل.

– هل تعرفين أنني التقيت بمارينا غريغ من قبل؟ أعني عندما كنت أقيم في كاليفورنيا.

فسألتها الآنسة ماربل بفضول قائلة: وكيف كان حالها يومئذ؟

– كانت فاتنة وطبيعية.

– هل تزوجت خمس مرات حقاً؟

– على الأقل، وكان أول زواج لها بشخص مغمور، وبعد ذلك تزوجت بنجم سينمائي بعد قصة حب مثيرة، إلا أن الزواج لم يستمرّ طويلاً، ثم تزوجت الكاتب المسرحي إيزديور رايت، وكان زوجاً هادئاً رزيناً رُزقت منه بطفل، وقد كانت تتوق منذ زمن إلى الإنجاب، وقبل ذلك كانت قد تبنّت بضعة أطفال، ولكن المولود جاء مختلّ العقل أو مشوّهاً، وهذا هو الذي تسبب في إصابتها بالانهيار العصبي، ومنذ ذلك الحين بدأت تدمن المخدرات وتعزف عن التمثيل.

- يبدو أنك تعرفين الكثير عنها.

- كان من الطبيعي أن أهتم بأخبارها عندما اشترت البيت. ثم تزوجت زوجها الحالي منذ سنتين، ويقال إنها استردّت صحتها وحالتها الطبيعية. وذلك الزوج يعمل مخرجاً، وكان يحبها منذ فترة شبابها المبكر، إلا أنه لم يكُن مشهوراً في ذلك الوقت، ثم ها هو الآن قد نال شهرة ضخمة.

- ما اسمه؟

- جاسون هود أو... راد. نعم، راد.

- أرى أن لديك معلومات وفيرة عن نجوم التمثيل. هل اكتسبت كل هذه المعلومات عندما كنت في فلوريدا؟

- لا، وإنما عن طريق قراءة المجلات الفنية، وإن كنت لا أصدق نصف القصص التي ترِد في المجلات، وأنا لا أعتقد أن مارينا غريغ مصابة بمرض عضال، كما أنني لا أصدق أنها مدمنة مخدرات، وربما كان خبر إصابتها بانهيار عصبي مختلَقاً، ولكن الشيء المؤكد هو أنها جاءت لتستقرّ في بيت كوسنغتون.

فقالت الآنسة ماربل بفضول: لقد سمعت أنها قادمة في الأسبوع المقبل.

- الذي أعرفه هو أنها سوف تقيم حفلاً في البيت

بمناسبة مرور ثلاثة وعشرين عاماً على تأسيس جمعية إسعاف سانت جون، وأنها أنفقت الكثير على البيت ليصبح عصرياً. لقد أنشأت سبعة حمّامات جديدة وحماماً للسباحة، وهدمت غرفة المكتب وحوّلتها إلى قاعة ضخمة للموسيقى.

وسكتت السيدة بانتري برهة ثم حوّلت دفّة الحديث قائلة: سمعت أنك تعثرت ووقعت على الأرض. التي تكون في مثل سنك يجب أن تكون أكثر حذراً.

فقالت الآنسة ماربل باستياء: مَن الذي أنبأك بذلك؟

- لا توجد أسرار في قرية صغيرة مثل قرية سانت ماري ميد، وأنت نفسك كنت تقولين ذلك دائماً. لقد سمعت الخبر من السيدة ميفي التي تقيم بالمنطقة السكنية الحديثة. ماذا كنت تفعلين في المنطقة الجديدة؟

- دفعني الفضول إلى استكشاف المنطقة لأرى كيف يعيش الناس في تلك المنطقة الجديدة، حتى إذا حدث شيء أدرك الإنسان أسباب حدوثه.

- أتعنين وقوع جريمة؟

وفوجئت الآنسة ماربل بهذا السؤال فقالت بدهشة: لا أدري لماذا يجول بخاطرك أنني أفكر في الجريمة طَوال الوقت!

- لماذا لا تعترفين بأنك أصبحت خبيرة بعلم الجريمة؟

- لأنني لا أستطيع أن أزعم ذلك، وكل ما في الأمر أن لدي بعض المعرفة بالطبيعة البشرية، وهذا أمر طبيعي بعد أن عشت طَوال عمري في قرية صغيرة. أعتقد أن الوقت قد حان لانصرافي قبل أن تشعر الآنسة نايت بالقلق لغيابي.

عادت الآنسة ماربل إلى البيت لتجد الدكتور هايدوك في انتظارها، وكان من الواضح أن الآنسة نايت قضت معه بعض الوقت في الثرثرة وأخبرته بقصة سقوطها، فحذّرها الطبيب من عواقب السقوط في مثل هذه السن ونصحها بعدم الخروج وحدها ثم قال باسماً: لدي وصفة مفيدة لصحتك، وهي أن تشغلي نفسك بإماطة اللثام عن إحدى الجرائم.

فقالت الآنسة ماربل باستياء: إن الشيء الذي تقوله مثير للأعصاب.

- إن الشيء الوحيد الذي يجعلك في صحة جيدة هو أن تشغلي نفسك بالجريمة.

- أتعني أن أقرأ قصة بوليسية؟

- لا، بل جريمة حقيقية.

* * *

مضت ثلاثة أسابيع على زيارة الآنسة ماربل للسيدة بانتري. وكانت مارينا غريغ قد وصلت مع زوجها للإقامة في مقرّهما الجديد، ثم أرسلت مارينا إلى السيدة بانتري دعوة مذيلة بإمضائها لحضور حفل الشاي الذي يقام بعد الظهر قبل موعد إقامة الحفل الكبير في المساء، ولم تكُن السيدة بانتري عضواً في جمعية إسعاف سانت جون، لهذا شعرت بالفخر عندما تلقت دعوة الممثلة الكبيرة.

تأملت السيدة بانتري نفسها في المرآة بعد أن ارتدت ملابس الخروج ووضعت القبعة فوق رأسها. وقبل وصولها بدقائق كانت مارينا تحدّث زوجها بسعادة عن سرورها بالبيت الجديد قائلة إنها تشعر بارتياح كبير للمكان وإنها تعتقد أنها سوف تستقرّ فيه طَوال عمرها، فنظر إليها زوجها باسماً وهو يشعر في قرارة نفسه أن ما تقوله زوجته مجرّد كلمات صادرة في لحظة من لحظات السعادة العابرة وأن الملل سوف يدركها كعادتها بعد سنتين أو سنتين ونصف على أكثر تقدير. ثم قالت مارينا بسعادة: كم هو رائع أن يشعر الإنسان بالصحة والقوة والقدرة على التكيّف مع ظروف الحياة.

وفي تلك اللحظة أعلن الخادم الإيطالي عن وصول السيدة بانتري، فأسرعت مارينا تستقبلها مرحبة وهي تفكّر في المصادفات العجيبة التي جعلتها تشتري بيتها بعد عامين من لقائهما في سان فرانسيسكو وكانت قد تزوجت بجاسون

راد، أو جنكز كما يحلو لها أن تناديه. قالت مارينا للسيدة بانتري: لم تسبق لك معرفة زوجي. جاسون، هذه هي السيدة بانتري.

نظرت السيدة بانتري إلى جاسون راد باهتمام، وكان أول خاطر طرأ على ذهنها أنه أقبح رجل رأته في حياتها. صحيح أنه كانت له عينان تشعان ببريق ينم عن الذكاء، ولكن بقية وجهه يبدو أشبه بمهرّج السيرك، إلا أن صوته كان جذاباً عندما بدأ يتكلم ببطء قائلاً: اسمحي لي أن أرحّب مع زوجتي بزيارتك لنا، وأرجو أن تخبرينا بكل ما لديك من معلومات عن هذا القرية الجذابة.

وقالت مارينا بعد أن ناولتها قدحاً من الشاي: هل تفضلين شطيرة أم قطعة من الكعك؟ لدينا طباخ إيطالي يجيد صناعة الحلوى.

ولاحظت السيدة بانتري ارتجاف أصابع مارينا، ولكن الرجفة انتهت بعد أن نظر إليها زوجها نظرة حانية، ثم لاحظت أن الممثلة لا تزال تحتفظ بقدر كبير من جاذبيتها رغم تقدمها في السن، وبعد ذلك حوّلت السيدة بانتري بصرها نحو الزوج الذي كان يراقب زوجته مارينا وهمست لنفسها قائلة: يا إلهي، إن الرجل يعشقها!

ثم قالت السيدة بانتري بصوت مسموع: أرجو أن تستمعي بالإقامة في هذا المكان. هل تتوقعين أن تمكثي فيه

لفترة طويلة؟

ففتحت مارينا عينيها بدهشة وهي تقول: آه، ليس معنى إقامتي هنا أنني لن أسافر بين الحين والحين؛ إذ يوجد احتمال أن أمثّل في أحد الأفلام التي تُصوَّر في شمال إفريقيا خلال العام القادم، ولكنني سوف أعتبر هذا البيت مقرّ إقامتي الدائمة لأنني مولعة به أشدّ الولع.

فهمست السيدة بانتري لنفسها قائلة: لا أظن أنها من الطراز الذي يتحمل الإقامة في مكان واحد لفترة طويلة.

ثم التفتت نحو الزوج فخيّل إليها من نظرات عينيه أنه يشاركها نفس الرأي. وفي تلك اللحظة دخلت سيدة وقالت: بارتلتس ينتظرك على الهاتف يا جاسون.

- اطلبي منه أن يتصل بي في وقت لاحق.

- ولكنه يقول إن الموضوع عاجل.

فتنهد جاسون بضيق ثم نهض وهو يقول: دعيني أقدمك إلى السيدة بانتري. سيدة بانتري، هذه سكرتيرتي إيللا زايلنسكي.

كانت إيللا زايلنسكي في نحو الخامسة والثلاثين شديدة الاعتداد بنفسها، ذات شعر أسود قصير وجبهة عريضة. ثم قالت موجهة حديثها إلى السيدة بانتري: لقد قيل لي إنك تقيمين هنا منذ مدة طويلة، فهل هذا صحيح؟

فقالت السيدة بانتري: لقد عشت في هذا البيت سنوات طويلة، وعندما مات زوجي بعت المنزل الذي تناقلته أكثر من يد.

وفي تلك اللحظة فُتح الباب وأطلّ جاسون برأسه قائلاً: أنا أكره أن أقاطعك يا عزيزتي، ولكنهم يريدون رأيك الشخصي في هذا الموضوع.

فتنهدت مارينا وهي تقف ثم قالت وهي تتجه نحو الباب: معذرة يا سيدة بانتري، لن أتأخر عليك أكثر من بضع دقائق. ثم سألت إيللا باهتمام: متى وقعت الجريمة في هذا البيت؟

فقالت السيدة بانتري باستياء: لم تقع أية جريمة هنا.

- لا تحاولي الإنكار فقد سمعت القصة. ألم يعثروا على الجثّة في هذا المكان بالقرب من المدفأة؟

فهزّت السيدة بانتري رأسها مؤمّنة ثم قالت: بلى، هذا هو المكان.

- معنى هذا أنه وقعت جريمة بالفعل؟

- لم تُرتكب الجريمة في البيت. لقد قُتلت الفتاة في مكان آخر ثم نُقلت جثتها إلى البيت.

- من المحتمل أنك وجدت صعوبة في إقناع الناس بذلك. وكيف اكتشفتم الجثّة؟

- لقد عثرت عليها الخادمة في الصباح.

فنظرت إيللا زايلنسكي نحو الباب ثم قالت بصوت هامس: أرجو أن لا تذكري لمارينا شيئاً عن هذا الموضوع لأن صحتها لا تتحمل شيئاً كهذا.

- اطمئني، فلن أقول لها شيئاً، ومع هذا فقد مضى زمن طويل على الحادث. ولكن أليس من المحتمل أن تسمع القصة من إنسان آخر؟

- إنها لا تتعامل مع دنيا الواقع كثيراً ولا تختلط بالناس كثيراً لأنه توجد أشياء كثيرة تسبب لها انحراف المزاج. ولعلك سمعت أنها كانت تعاني مرضاً شديداً في خلال العامين الأخيرين، ولم تبدأ في استرداد صحتها إلا مؤخراً.

قالت السيدة بانتري: يبدو أنها تحب هذا البيت وسوف تشعر بالسعادة فيه.

فقالت إيللا: لا أتوقع أن يستمر ذلك أكثر من عام أو عامين.

- ألا تتوقعين فترة أطول من ذلك؟

- أشك في ذلك، فمن عادة مارينا أن تتخيل أنها عثرت على الشيء الذي تريده، ولكنها سرعان ما تشعر بالملل.

- ولكنني أعتقد أن الأمر يختلف بالنسبة إلى زوجها.

- إنه مخرج عبقري. هل شاهدت بعض أفلامه؟

- في الواقع أنا أذهب إلى دار العرض لأشاهد الأفلام لا لأشغل ذهني بقراءة الأسماء.

- إن جاسون يبذل جهداً خارقاً كي يُدخِل السعادة على قلب زوجته، وهذا أمر ليس بالسهل، وخصوصاً إذا...

وسكتت إيللا برهة فأكملت لها السيدة بانتري الجملة قائلة: إذا كانت الزوجة من ذلك الطراز الذي يستعذب الإحساس بالتعاسة.

فقالت إيللا زايلنسكي وهي تهزّ رأسها نفياً: لا، مارينا ليست من هذا الطراز، ولكن عواطفها تتغير بعنف من النقيض إلى النقيض، فهي تارة تبدو في قمة السعادة وفجأة تتحول إلى الغضب في غمضة عين لأتفه الأسباب. أحمد الله على أنني لا أشغل أكثر من منصب السكرتيرة الاجتماعية.

* * *

الفصل الثالث

كان البيت غاصّاً بالروّاد الذين توافدوا لحضور الحفل المقام لصالح جمعية إسعاف سانت جون، وكان الجوّ جميلاً ورسم الدخول ضئيلاً مما أتاح الفرصة لجميع أهل قرية سانت ماري ميد بالحضور، وبصفة خاصة لمشاهدة التعديلات التي أُجريت على واحد من بيوت القرية العريقة. وقد أثار حمّام السباحة وممراته الرخامية إعجاب الجميع، وخيّل للسيدة بانتري أنها في حديقة قصر بكنغهام، وكان الحاضرون يحاولون أن يروا كل ما يمكن لهم رؤيته، ثم لمحت السيدة بانتري شاباً متموّج الشعر يقترب منها قائلاً: هل أنت السيدة بانتري؟

- نعم، أنا السيدة بانتري.

- اسمي هيلي بريستون، وأعمل في خدمة السيد راد. هل تسمحين بالصعود إلى الطابق الثاني؟ لقد وجّه السيد والسيدة راد الدعوة إلى مجموعة خاصة من الأصدقاء للصعود إلى الطابق العلوي.

فتبعته السيدة بانتري بزهو إلى الطابق الثاني، ثم شاهدت أمامها على الدرَج السيد والسيدة أولكوك فقالت لها السيدة أولكوك وهي تلهث: كم هي رائعة تلك التعديلات التي أُدخلت على البيت يا سيدة بانتري. كنت أودّ أن ألقي نظرة إلى الحمّامات ولكنني لا أعتقد أن الفرصة ستكون سانحة.

وكانت مارينا غريغ وزوجها يقفان على رأس الدرَج لاستقبال الصفوة المختارة من المدعوين، وكان جوسيب الخادم يقدّم المشروبات في حين كان يوجد رجل سمين ينادي أسماء الضيوف ثم صاح معلناً: المستشار والسيدة أولكوك.

وكانت مارينا في أحسن حالاتها مشرقة الوجه مبتهجة فقالت لزوجها: جاسون، أرجو أن ترحب بالسيد والسيدة أولكوك.

وعندما وقع بصرها على السيدة بانتري قالت بمرح: آه! سيدة بانتري، أنا سعيدة لحضورك.

وتناولت السيدة بانتري كأساً من الليمون ثم لمحت القس بجسمه النحيل يقول لمارينا: لقد كان كرماً منك أن تدعيني إلى الحضور، وأخشى أن أقول لك إنني لا أمتلك جهاز تلفزيون.

ولم يدرك أحد ما يعنيه القس بقوله، ثم قدمت إليه

الآنسة زايلنسكي التي كانت تشارك في الخدمة كأساً من الليمون، وبعد ذلك صعد الدرَج السيد والسيدة بادكوك. وكانت هيثر بادكوك تسير بزهو وهي تتقدّم زوجها، وأعلن الرجل المسؤول عن حضور الضيوف قائلاً: السيد والسيدة بادكوك.

فأدار القس رأسه نحو السيدة بادكوك قائلاً: السيدة بادكوك سكرتيرة جمعية الإسعاف التي لا تكلّ. إنها من أخلص الأعضاء لعملها، وفي الواقع أنا لا أدري كيف كان يسير العمل في الجمعية دونها!

ثم وجهت لها مارينا الحديث قائلة: أنا واثقة من أنك قمت بمجهود رائع.

فقالت لها هيثر بانفعال: ألا تتذكرينني؟ ولكن كيف تتذكرينني وأنت تقابلين مئات الأشخاص؟ على أية حال كان ذلك منذ سنوات طويلة في برمودا حينما كنت أعمل خلال الحرب في إحدى فرق الإسعافات الأولية. لقد كان ذلك منذ زمن بعيد.

فقالت مارينا وعلى فمها ابتسامة ساحرة: بالتأكيد.

ثم أردفت السيدة بادكوك قائلة: أنا أذكر المناسبة جيداً لأنها كانت مثيرة بالنسبة إليّ. لقد كنت فتاة صغيرة في ذلك الوقت، وكانت فرصة رائعة أن أرى مارينا غريغ بلحمها ودمها. آه، كم كنت مفتونة بك!

فقالت مارينا برقة: هذا لطف زائد منك.

- لن آخذ من وقتك كثيراً، ولكنني...

فهمست السيدة بانتري لنفسها قائلة: مسكينة مارينا غريغ. لا شك أن الممثلة تواجه مثل هذا الموقف كثيراً. إنها تحتاج إلى قدر كبير من الصبر.

واستمرت هيثر في روايتها بإصرار قائلة: لم أكُن أشعر أنني مريضة حقاً، ومن ثم أصررت على أن أضع قدراً كبيراً من المساحيق على وجهي. لم أنسَ قطّ كم كنت تبدين رائعة في ذلك اليوم.

وكانت السيدة أولكوك والسيدة بانتري تتابعان الحديث، ثم لاحظت السيدة بانتري أن نظرات مارينا تحوّلت نحو الدرَج وأن نظراتها بدت زائغة حتى خُيّل إلى السيدة بانتري أنها موشكة على الإغماء، فهمست السيدة بانتري لنفسها قائلة: تُرى ما هو الشيء المخيف الذي وقع عليه بصرها وتسبب لها في تلك النظرات الزائغة؟

ثم خطت خطوة إلى الأمام، ولكنها قبل أن تصل إلى الممثلة كانت الأخيرة قد استعادت هدوء أعصابها وعادت تنظر إلى وجه هيثر بنفس الرقّة السابقة وقالت: يا لها من قصة ممتعة! والآن ماذا تشربين؟ جاسون، أرجو أن تأتي بكأس من الشراب.

- حسناً، أحب أن أتناول كأساً من عصير الليمون

أو البرتقال.

فتدخّل جاسون في الحديث قائلاً: اسمحي لي أن أقدم لك العصير بنفسي. ثم ناول جاسون كأساً لزوجته التي قالت: لقد شربت ما يكفي.

ورغم هذا فقد قبلت الكأس في حين تناولت هيثر الكأس من يد جاسون، ثم استدارت مارينا لتقابل الضيف التالي. وقالت السيدة بانتري للسيدة أولكوك: هيا بنا نشاهد الحمّامات.

- هل تعتقدين أنهم سيسمحون لنا بذلك؟

فالتفتت السيدة بانتري نحو جاسون راد قائلة: نريد أن نلقي نظرة إلى الحمّامات يا سيد راد. هل تعتقد أننا نستطيع أن نشبع هذا الفضول؟

فقال جاسون بوجه عابس: نعم، بالتأكيد.

وتبعت السيدة أولكوك السيدة بانتري نحو الممرّ، وأخذتا تفتحان العديد من الأبواب لتلقيا نظرة إلى الحمّامات العصرية بإعجاب، ثم قالت السيدة أولكوك بدهشة: أنا لا أحب الرشاش العلويّ؛ إذ كيف يجفف الشعر بعد أخذ الحمّام؟

وقالت إحدى السيدات القريبات: ما رأيكن في إلقاء نظرة إلى غرف النوم؟

فقالت السيدة أولكوك وهي تنظر نحو السيدة بانتري: لا أظن أننا نستطيع ذلك.

وقالت السيدة بانتري بتردّد: أجل، لا أعتقد أنه يحق لنا أن نفعل ذلك، ولكن أحداً لن يفطن إلينا لو أننا ألقينا عليها نظرة عابرة.

ولكن أبواب غرف النوم كانت مغلقة فشعرت السيدات بالاستياء ثم عاد الجميع إلى الممر، ونظرت السيدة بانتري من إحدى النوافذ فرأت السيدة ميفي التي تسكن في المنطقة الحديثة مرتدية زياً أنيقاً وبجوارها شيري التي تعمل في خدمة الآنسة ماربل وهما تتبادلان الحديث ضاحكتين، وفجأة سمعت السيدة بانتري همهمة حولها، فاستدارت لتستطلع الأمر فسمعت إحدى السيدات تقول: ما الذي حدث؟ أنا أشعر كأن شيئاً قد حدث.

واتجهت السيدات نحو الدرَج حيث كانت إيللا زايلنسكي صاعدة بسرعة، ثم حاولت أن تفتح باب إحدى الحجرات ولكنه لم يُفتح فتمتمت بغيظ قائلة: تباً، جميع الأبواب مغلقة.

فسألتها السيدة بانتري بقلق قائلة: هل حدث شيء؟

فقالت الآنسة زايلنسكي باقتضاب قائلة: لقد فاجأ المرض إحدى السيدات.

- هذا أمر مؤسف. هل أستطيع أن أساعد بشيء؟

- أعتقد أنه يوجد طبيب في مكان ما.

فقالت السيدة بانتري: لم أرَ أحداً من أطباء المنطقة هنا، ولكن لا شك أنه يوجد بعض الأطباء بين المدعوين.

فقالت إيللا زايلنسكي: إن جاسون يُجري اتصالاً هاتفياً، ولكن يبدو أن السيدة في حالة سيئة للغاية.

فسألت السيدة بانتري باهتمام قائلة: مَن تلك السيدة؟

- أعتقد أنها السيدة بادكوك.

- هيثر بادكوك؟ ولكنها كانت تبدو في أتمّ صحة منذ لحظات!

فقالت إيللا زايلنسكي بضيق: يبدو أنها أُصيبت بنوبة مفاجئة. هل تعاني مرضاً في القلب أو شيئاً من هذا القبيل؟

- لا أعرف عنها الكثير؛ فهي من سكان المنطقة الجُدد.

- أتعنين أنها تقيم في المنطقة السكنية الحديثة؟ أنا لا أعرف أين زوجها الآن، بل إنني لا أذكر شكله.

- إنه متوسط العمر. لقد جاء معها ولا بدّ أن يكون موجوداً في مكان ما من البيت.

ثم اتجهت إيللا زايلنسكي نحو الحمّام قائلة: أنا لا

أعرف أي دواء أقدّمه إليها. هل ترَين أن أقدّم إليها بعض الأملاح الفوّارة؟

فقالت السيدة بانتري بانفعال: هل أُغمي عليها؟

- إنها في حالة أسوأ من ذلك.

- سوف أرى ما إذا كان باستطاعتي أن أقدّم إليها يد العون أم لا.

ثم اتجهت السيدة بانتري مسرعة نحو رأس الدرَج حيث رأت جاسون راد الذي قال لها: هل رأيت إيللا؟ إيللا زايلنسكي؟

- لقد رأيتها تدخل أحد الحمّامات لتبحث عن شيء، أظنه بعض الأملاح الفوّارة.

فقال جاسون بأسى: لا داعي لذلك.

فسألته السيدة بانتري بحدّة قائلة: هل حالتها سيئة إلى هذا الحد؟

فقال جاسون وقد أطرق رأسه: لقد ماتت المسكينة.

- ماتت؟! ولكنها كانت في أحسن صحة منذ لحظات.

- أعرف هذا. يا لها من مأساة!

* * *

الفصل الرابع

وصلت شيري في موعد مبكر وقالت للآنسة ماربل: لقد جئت لأرى ما إذا كنت قد سمعت الأنباء أم لا.

فسألتها الآنسة ماربل قائلة: أية أنباء؟

- ما حدث في بيت كوسنغتون أمس. لقد أُقيم في البيت حفل لصالح جمعية إسعاف سانت جون، وقد ماتت إحدى السيدات في خلال الحفل لا أظن أنك تعرفينها. إنها سيدة تُدعى السيدة بادكوك.

- ولكنني أعرفها، فهي السيدة التي ساعدتني عندما تعثرت قدمي. لقد كانت سيدة لطيفة للغاية.

- اسمها هيثر بادكوك، والجميع يقولون إنها كانت سيدة رقيقة، ولكنها كانت كثيرة التدخل في أمور الغير.

- ما سبب موتها؟

- لقد تناولت شراباً، وبعد خمس دقائق أحسّت بالمرض، ثم لفظت آخِر أنفاسها قبل أن يتمكّن أحد من

مساعدتها.

- هل كانت مريضة بأحد أمراض القلب؟

- لا، لقد كانت تتمتع بصحة جيدة، ولكن من يدري؟ الذي أعرفه أنهم لم يرسلوا جثّتها إلى بيتها.

فقالت الآنسة ماربل باهتمام: ماذا تعنين بذلك؟

- لقد قرّر الطبيب تشريح الجثّة. ألا يبدو ذلك غريباً؟

- وما وجه الغرابة في ذلك؟

- حسناً، هذا يعني أن الطبيب يشكّ في أن الوفاة ليست طبيعية.

- هل سبّب الحادث انزعاجاً شديداً للزوج؟

- نعم، وكان وجهه يحاكي وجوه الموتى.

فسألتها الآنسة ماربل باهتمام قائلة: هل كان شديد الحب لزوجته؟

- كان يفعل كل ما تطلبه منه، ولكن هذا لا يعني أنه كان شديد التعلق بها.

- هل كنت تكرهينها؟

فأجابت شيري على الفور بقولها: لم أكُن أكرهها لأن

معرفتي بها كانت محدودة، كما أنها لم تكُن من الطراز الذي أميل إليه؛ فقد كانت فضولية، أعني مُحِبّة للتدخل في شؤون الآخرين، ولكنها كانت ودودة تحب أن تقدم أقصى ما تستطيع من المساعدة إلى الغير، إلا أن هذا السلوك غير مقبول لدى الجميع.

وفي تلك اللحظة دخلت الآنسة نايت معلنة عن قدوم السيدة بانتري، فأسرعت الآنسة ماربل إلى لقائها، وكانت السيدة بانتري تعتقد أنها أول من يحمل نبأ موت السيدة بادكوك إليها، إلا أنها فوجئت بوصول الخبر إلى الآنسة ماربل. ثم سألتها بانفعال قائلة: ما رأيك في الحادث؟

- ليس المهم رأيي، إنما المهم هو ما يقوله الطبيب.

- سوف يُجرى تحقيق، كما أنه سيتم تشريح الجثّة. ألا يعطي هذا فكرة عن وجهة نظرهم؟

- ليس بالضرورة. إن أي إنسان عرضة للموت المفاجئ، وفي هذه الحالة يتمّ تشريح الجثّة للوقوف على أسباب الوفاة.

فقالت السيدة بانتري بإصرار: بل وأكثر من ذلك.

- وكيف علمت ذلك؟

- عندما عاد الدكتور ساندفورد من بيته اتصل بالشرطة. والآن ما رأيك يا جين؟

- إن أول من تتجه إليه الشكوك هو الزوج. هل كان موجوداً في الحفل؟

- نعم، ولكن ألا تفكرين في احتمال الانتحار؟

فأجابت الآنسة ماربل بإصرار قائلة: ليس انتحاراً بكل تأكيد؛ إذ لم تكُن هيثر من الطراز الذي يُقدِم على الانتحار.

- كيف تعرّفت بها يا جين؟

- في ذلك اليوم الذي توجهت فيه إلى المنطقة السكنية الحديثة وتعثرّت أمام باب دارها. لقد وجدتها بالغة الرقّة.

- هل رأيت زوجها؟ هل تعتقدين أنه من الجائز أن يكون قد دسّ السم لها؟ ألم يذكّرك بإنسان شاهدتِه من قبل؟

فقالت الآنسة ماربل بشرود: نعم لم يذكرني، ولكنها هي التي ذكرتني.

- مَن؟ السيدة بادكوك؟

- نعم ، ذكرتني بسيدة تُدعى أليسون وايلد.

- وكيف كانت أليسون وايلد هذه؟

قالت الآنسة ماربل ببطء: إنها لم تكُن تعرف شيئاً على الإطلاق، لم تكُن تعرف كيف يسير العالَم أو كيف يتصرف

الناس، بل إنها لم تكُن تفكر في الناس قطّ، ومن ثم لم يكُن في مقدورها أن تحمي نفسها مما يمكن أن يحدث لها.

فقالت السيدة بانتري: إنني لا أفهم شيئاً مما تقولينه.

- هذا أمر يصعب شرحه، ويعود السبب إلى أن كل أفكار الإنسان تكون مركزة حول نفسه. أنا لا أعني بذلك الأنانية، وإنما قد يوجد من طراز أليسون وايلد مَن لا تعرف ما تفعله، ولا ما يمكن أن يحدث للإنسان.

- ألا تستطيعين أن تزيدي هذه النقطة إيضاحاً؟

- بلى، أستطيع أن أعطيك مثالاً. أنت حينما تذهبين لشراء بعض مستلزمات البيت ثم تتحدثين مع صاحبة المحل التي تعرفين أن لديها ابناً من الشباب المستهتر، ويستمع الابن إلى حديثك عن بعض الجواهر التي تحتفظين بها في المنزل، كما يسمع أنك لا تكلفين نفسك عناء إغلاق باب المنزل، ثم تحدّدين أحد الأيام التي تغادرين فيها البيت وتكرّرين أنك لا تغلقين الباب، ثم يتصادف أن تعودي إلى البيت لأنك نسيت شيئاً فإذا بك تفاجئين بالشاب متلبساً بالسرقة مما يضطره إلى التخلص منك.

فقالت السيدة بانتري: هذا أمر يمكن أن يحدث لأي فرد في هذه الأيام.

- ليس تماماً. إن معظم الناس لديهم إحساس

بالحذر، ولذلك لا يثرثرون أمام أي إنسان لا يعرفونه جيداً، ولكن أليسون وايلد لم تكُن تفكر في شيء سوى نفسها. لقد كانت من ذلك الطراز الذي يتحدّث عن كل شيء فعله أو أحس به أو سمعه، لم تكُن تتحدث قطّ عما يقوله الآخرون أو يفعلونه، وكانت الحياة في نظرها طريقاً ذا اتجاه واحد لا ترى فيه سوى نفسها، أما الآخرون فهم كالورق الملصوق على الحائط. وأعتقد أن هيثر بادكوك كانت من هذا الطراز.

فقالت السيدة بانتري بشيء من القلق: أتعنين أنها كانت من ذلك الطراز الذي يورط نفسه في أمر لا يدرك سوء عواقبه؟

– هذا هو السبب الوحيد الذي أتصوره للمصير الذي لقيته، هذا إذا افترضنا أنها قُتلت.

– ألا تظنين أنها كانت تهدد إنساناً بابتزاز المال؟

– نعم، لا أظن ذلك. لقد كانت سيدة لطيفة ولم يكُن بوسعها أن تسلك مثل هذا السلوك.

– ما رأيك إذن؟

– كنت أفكر في أنها قد تكون قُتلت على سبيل الخطأ.

وسكتت الآنسة ماربل برهة ثم أردفت قائلة: دوللي،

لقد كنت موجودة في الحفل، أليس كذلك؟

- بلى، لقد شاهدت ما حدث بعيني.

- عظيم. هل تستطيعين أن تقصّي عليّ ما حدث بالتفصيل منذ وصول هيثر بادكوك؟

- طلب منّي شاب، أعتقد أنه سكرتير مارينا غريغ، الصعود إلى الطابق العلوي لحضور حفل صغير دُعي إليه بعض الخاصة من المدعوين.

- مَن الذين كانوا بالطابق العلوي؟

- مارينا غريغ. لقد كانت فاتنة وهي ترتدي زياً أخضر اللون، وكان معها زوجها وتلك السيدة التي تُدعى إيللا زايلنسكي، السكرتيرة الاجتماعية، وكان يوجد عدد يتراوح بين الثمانية والعشرة أعرف بعضهم ولا أعرف البعض الآخر، وكان من بينهم القس والدكتور ساندفورد وزوجته والكولونيل والسيدة كليترنغ والعمدة، وأعتقد أنه كان يوجد أحد الصحفيين وشابة تحمل آلة تصوير. وقد وصلت هيثر بادكوك مع زوجها بعدي مباشرة، ثم وجهت إلى مارينا غريغ بعض الكلمات الرقيقة، وبعد ذلك تحدثت مع شخص آخر هو... آه! نعم، إنه القس. وهيثر هي سكرتيرة جمعية الإسعاف كما تعلمين، وقد أشار أحدهم إلى ذلك قائلاً إنها تؤدّي خدمات جليلة للجمعية، فقالت مارينا غريغ بعض عبارات المجاملة لها، وعندئذ أثارت السيدة بادكوك انتباهي

بثرثرتها، حيث بدأت حديثاً طويلاً عن ظروف لقائها بمارينا غريغ في مكان ما منذ سنوات طويلة، ولكنها لم تكُن لبقة لأن كبار الممثلات يضايقهن أن يشير أحد إلى حادث وقع منذ زمن بعيد.

- هل تعنين أن حديث هيثر أثار استياء الممثلة؟

- لا، أعتقد أن مارينا لم تكُن تصغي إليها بانتباه وأنها كانت تنظر من فوق كتف محدثتها إلى شيء معيّن، وعندما انتهت السيدة بادكوك من روايتها المملة الطويلة عن قصة مرضها وكيف تسللت من سريرها لتلتقي بالممثلة وتحصل على صورتها خيّم صمت ثقيل لبرهة وجيزة وعندئذ شاهدت وجهها.

- وجه مَن؟ السيدة بادكوك؟

- لا، مارينا غريغ. لقد كان يبدو وكأنها لم تسمع حرفاً مما قالته السيدة بادكوك، وكانت تحدق إلى شيء على الحائط. كانت نظرتها... لا أدري كيف أشرح لك الأمر.

فقالت الآنسة ماربل: حاولي يا دوللي؛ فقد تكون لهذه الواقعة أهمية كبيرة.

فقالت السيدة بانتري وهي تحاول أن تركّز أفكارها: كانت تبدو نظرتها جامدة وهي ترى شيئاً يصعب وصفه. هل تذكرين السيدة شالوت؟ ذلك الشرخ الذي كان في المرآة عندما صاحت السيدة شالوت قائلة: «لقد عمّ القضاء»!

حسناً، هكذا كانت نظرة مارينا. كثير من الناس يضحكون عندما يقرؤون أشعار تنيسون، إلا أن صورة السيدة شالوت التي صوّرها تنيسون كانت ولا تزال تثير مشاعري.

كرّرت الآنسة ماربل بشرود قائلة: كانت نظرتها جامدة، وكانت تنظر إلى الحائط المقابل من فوق كتفَي محدّثتها. ما الذي كان على الحائط؟

- أعتقد أنها لوحة، نسخة من لوحة بيلليني لسيدة ضاحكة وهي تحمل طفلها.

فقطبت الآنسة ماربل جبينها وهي تقول: لا أرى مبرراً كي تدفعها الصورة إلى تلك النظرة الجامدة.

وقالت السيدة بانتري مؤمّنة على ذلك: خصوصاً وأن بصرها يقع على الصورة كل يوم.

- أعتقد أن بعض الأشخاص كانوا يصعدون الدرَج في تلك اللحظة.

- آه، نعم، دعيني أتذكر. نعم، كان يصعد العمدة وزوجته وشاب صغير وفتاة تحمل آلة تصوير، وقد اتخذت موقعاً يمكنها منه التقاط صور مارينا غريغ وهي تصافح ضيوفها، كما كان يصعد شخصان آخران لا أعرفهما، أعتقد أنهما من رجال السينما.

- ما الذي حدث بعد ذلك؟

- يبدو أن جاسون راد لفت نظرها لأنها سرعان ما عادت إلى حالتها الطبيعية وابتسمت في وجه السيدة بادكوك واستأنفت حديثها العادي، ثم بدأ جاسون راد يقدّم كؤوس الشراب إلى المدعوين.

- أي لون من الشراب؟

- قال إنه شراب زوجته المفضل، ثم أعطى كأساً لزوجته وقدّم الآخر إلى السيدة بادكوك.

فقالت الآنسة ماربل باهتمام: هذا مثير، مثير للغاية. وماذا حدث بعد ذلك؟

- لا أدري، لأنني شُغلت مع بعض السيدات بمشاهدة الحمّامات، إلى أن رأيت السكرتيرة تندفع نحونا معلنة إصابة إحدى السيدات بمرض مفاجئ.

* * *

الفصل الخامس

في التحقيق تعرّف الزوج على جثّة زوجته، ثم قدّم الطبيب تقريره قائلاً: إن الوفاة نتجت عن تناول جرعة كبيرة من أقراص الإيثيل ديكسيل باربو كويندلر ويتيت.

ثم تأجّل التحقيق لمدة أسبوعين، وطلب المفتش فرانك كورنيش من آرثر بادكوك أن يستأنف معه الحديث في بيته. وعند الوصول إلى البيت وبينما كان آرثر يولج المفتاح في ثقب الباب فوجئ المفتش بالباب يُفتح من الداخل وتطلّ منه إحدى السيدات، فأصيب آرثر بادكوك بالوجوم وصاح قائلاً: ماري؟!

فقالت السيدة: كنت أعدّ لك قدحاً من الشاي لأنني كنت واثقة من أنك ستحتاج إليه بعد عودتك من التحقيق.

فقال آرثر بارتباك: هذا كرم زائد منك، هذا هو المفتش كورنيش. السيدة بِن جارتي.

ثم اختفت السيدة بِن في الداخل لتعود بالشاي، فسأله

المفتش قائلاً: هل تعرفها منذ زمن طويل؟

- لا، لقد عرفتها منذ انتقالنا إلى هذا المكان.

- أعتقد أن ذلك كان منذ عامين أو ثلاثة، أليس كذلك؟

- بلى، منذ نحو ثلاث سنوات، ولكن السيدة بِن جاءت منذ ستة أشهر بعد وفاة زوجها، وهي تقيم هنا مع ابنها.

عادت السيدة بِن بأقداح الشاي وفي عينيها نظرات متشكّكة، وأحس المفتش كورنيش أنه شاهد تلك السيدة في مكان ما وأن نظراتها تدلّ على خوف من رجال الشرطة. وعند انصرافها إلى بيتها قال المفتش: إنها سيدة لطيفة. هل كانت صديقة لزوجتك؟

- لا، لقد كانت العلاقة بينهما علاقة جيران فقط ولم تصل إلى درجة الصداقة الحميمة.

- والآن يا سيد بادكوك نريد أن نحصل منك على كل المعلومات التي تعرفها. أعتقد أن نتيجة التحقيق كانت صدمة لك، أليس كذلك؟

- بلى، بالتأكيد. لقد كانت هيثر تتمتع بصحة جيدة، وإنني مدهوش جداً لتناولها ذلك العقار الغريب الذي يسمى... إيثيل...

وتوقف آرثر عن الحديث في حين أكمل له المفتش قائلاً: يوجد لهذا العقار اسم تجاري سهل هو «كالمو». هل تناولته من قبل؟

فهزّ آرثر بادكوك رأسه نفياً فقال المفتش: هذا العقار متداول في أمريكا أكثر من هنا.

- وفيمَ يُستخدم؟

- يقال إنه يؤدي إلى الاسترخاء والشعور بالسعادة، وهو يوصف في حالات التوتر والأرق والاكتئاب، ولا توجد خطورة في تناول الجرعة المناسبة منه، ولكن يبدو أن زوجتك تناولت ستة أمثال الجرعة العادية.

فأكّد آرثر بادكوك أن زوجته لم تكُن في حاجة إلى تناول تلك الأقراص وأنه لا شكّ أنها تناولتها بطريق الخطأ، فسأله المفتش عن الطعام الذي تناولته زوجته قبل شعورها بالمرض فقال آرثر: لقد تناولنا قطعة من الكعك مع قدح من الشاي في الخيمة المقامة في الحديقة، ثم وُجّهت إلينا الدعوة للصعود إلى الطابق العلوي حيث أعربت الآنسة مارينا غريغ عن سرورها لرؤية زوجتي التي كانت تحلم منذ أيام بهذا اللقاء. وكان يوجد نحو عشرة أو اثنَي عشر شخصاً.

- مَن الذي استقبلكم؟

- السيدة مارينا غريغ شخصياً، وكان معها زوجها،

وقد استقبلت زوجتي بابتهاج. ثم أخذت هيثر تذكّرها بقصة لقائهما الذي تمّ في جزر الهند الغربية منذ زمن طويل، وبعد ذلك سألتنا السيدة مارينا عن نوع الشراب الذي نريده، فتطوّع السيد راد زوجها بتقديم نوع خاص من العصير لنا.

- نوع خاص من العصير؟

- نعم، وقد أحضر كأسين، واحدة لزوجتي والأخرى لزوجته.

- وماذا شربت أنت؟

- كأساً من شراب آخر.

- ثم وقفتم أنتم الثلاثة معاً لتشربوا كؤوسكم، أليس كذلك؟

- لم يحدث ذلك بالضبط؛ فقد صعد العمدة وسيد أمريكي وإحدى السيدات، ولهذا تحركنا قليلاً من أماكننا.

- هل شربت زوجتك كأسها حينئذ؟

- لا، لم تكُن قد شربتها بعد.

- متى شربتها إذن؟

فاستغرق آرثر في التفكير برهة ثم قال: لقد وضعت الكأس فوق إحدى الموائد لأنها رأت أحد أعضاء جمعية الإسعاف فتوجّهت نحوه لتتبادل معه الحديث.

- ومتى شربت كأسها؟

- شربتها بعد ذلك بقليل، وكان الزحام قد اشتدّ فاصطدم بها أحدهم فانسكب الشراب.

فقال المفتش بانفعال: ماذا تقول؟ انسكب الشراب؟

- نعم، هذا ما أذكره. لقد أمسكت الكأس وشربت جرعة، ولكنها لم تستسِغها لأنها لم تحب هذا النوع من العصير، ثم اصطدم بها أحد الأشخاص فانسكب الشراب على ثوبها وعلى ثوب السيدة غريغ أيضاً. وكان تصرّف الممثلة مهذباً للغاية إذ قدّمت إلى زوجتي منديلاً لتمسح ثوبها قائلة إن هذا الشراب لا يترك بقعاً، ثم قدمت كأساً أخرى إلى زوجتي قائلة لها: خذي كأسي، أنا لم أقربها بعد.

فقال المفتش باهتمام: أتقول إنها قدّمت كأسها إلى زوجتك؟ هل أنت واثق من ذلك؟

- كل الثقة يا سيدي المفتش.

- وهل أخذت زوجتك الكأس؟

- نعم، وقد تمنّعت في البداية ولكن السيدة غريغ أصرّت قائلة إنها شربت ما فيه الكفاية.

- وهكذا تناولت زوجتك الكأس. وماذا فعلت بها؟

- استدارت قليلاً وشربتها بسرعة، وبعد ذلك سرنا معاً نشاهد اللوحات والستائر الثمينة، ثم التقيت بصديق لي. وعندما تلفتّ بحثاً عن هيثر وجدتها جالسة فوق أحد المقاعد شاحبة الوجه زائغة النظرات، فأسرعت إليها أسألها عما بها فقالت إنها تشعر بالدوار.

- أي نوع من الدوار؟

- لا أدري يا سيدي، فقد بدا صوتها غريباً ومال رأسها قليلاً ثم شهقت وسقطت ميتة.

* * *

بينما كان كبير مفتشي اسكتلنديارد يتناقش مع مساعده ديرموت كرادوك في طلب السلطات المحلية في سانت ماري ميد المعاونة في جريمة موت هيثر بادكوك تذكر السيدة العجوز التي تقيم في القرية وما قدّمته من مساعدات سابقة إلى الشرطة، ثم سأله عن المساعد الذي يختاره في تلك المهمة فقال المفتش كرادوك: أعتقد أن تيدلر خير من يعاونني في هذه المهمّة؛ فهو من المهتمين بمشاهدة الأفلام وسوف يكون ذلك مفيداً في هذه الحالة.

وقد رحّبت الآنسة ماربل بالمفتش كرادوك عندما عرفت المهمّة التي جاء من أجلها وسبب زيارته لها، وشعرت بالزهو عندما علمت أن اسكتلنديارد لا تزال تذكر جهودها، وعندما سألها المفتش عن رأيها في آرثر بادكوك

وعما إذا كان يذكّرها بواحد من الرجال الذي التقت بهم وكانوا وراء حوادث مصرع زوجاتهم أصرّت على أن آرثر لا يبدو كواحد منهم، رغم أنها تعتقد أن فترة حزنه على زوجته لن تطول وأنه سوف يفكر في الزواج سريعاً. ثم قالت: أنصحك بالتوجه لمقابلة السيدة بانتري.

- السيدة بانتري؟ أهي واحدة من المتصلين بالسينما؟

- لا، ولكنها حضرت الحفل ورأت الكثير، أضِف إلى ذلك أنها كانت تمتلك البيت الذي أقيم فيه الحفل الذي انتهى بموت هيثر بادكوك.

- هل أنت متأكّدة من أن لديها معلومات مفيدة؟

- سوف تخبرك هي بنفسها، ويكفي أن تقول لها إنني أنا التي أرشدتك إليها، ومن الأفضل أن تشير في حديثك معها إلى السيدة شالوت.

- أهذه شفرة متّفق عليها بينكما؟

- لا أدري كيف أشرح لك الأمر، ولكن هذه الكلمات سوف تذكّرها بما أعنيه.

نهض ديرموت كرادوك وهو يقول: سوف أعود للقائك مرة أخرى.

- يسعدني أن تأتي في أي وقت لتناول الشاي.

- بالمناسبة، هل تعرفين أي شخص من نجوم السينما أو العاملين في الاستوديوهات؟

- لا، فيما عدا ما تلتقطه أذناي من أخبار.

* * *

قالت السيدة بانتري للمفتش عندما قدّم نفسه إليها: هل أرسلتك الآنسة ماربل؟ إذن في الأمر جريمة حقاً.

- هل كنت تعتقدين أن في الأمر جريمة؟

- لا أحد يستطيع أن يدلي برأي قاطع في الموضوع، ولكن الجميع يتحدثون عن وقوع جريمة بلا شكّ.

- ومَن هو القاتل في رأيهم؟

- هذا وجه الغرابة في الموضوع لأننا لا نستطيع أن نتصور إنساناً يُقدِم على قتل هيثر بادكوك؛ فهي سيدة رقيقة ميّالة إلى تقديم الخدمات للجميع، ولكن عيبها الوحيد هو الميل إلى الثرثرة، إلا أن هذا لا يُعتبر مبرراً كافياً لقتلها.

- لا أظن أنها كانت تمتلك مالاً يطمع أحد فيه. هل تعتقدين أنها كانت تبتزّ أموال شخص معيّن؟

- أنا واثقة من أنها لم تفعل شيئاً كهذا؛ فقد كانت على خلق وكانت شديدة التمسك بالمبادئ.

- هل سمعت عن علاقة لزوجها بسيدة أخرى؟

- لا أظن ذلك. لقد شاهدته في الحفل، وهو شخص نحيل كالخيط، وهو لطيف ولكنه جاف.

- هذه المعلومات لا تقدّم جديداً. نعود إلى افتراض أنها كانت تعرف بعض المعلومات التي تدين شخصاً معيناً.

فهزّت السيدة بانتري رأسها بإصرار قائلة: أنا أستبعد هذا الاحتمال لأنها كانت ثرثارة، ولو عرفت شيئاً لما استطاعت أن تكتمه في نفسها.

- حسناً، لقد طلبت منّي الآنسة ماربل التي أشعر نحوها بإعجاب شديد أن أحدّثك عن السيدة شالوت.

فقالت السيدة بانتري بدهشة: آه! أحقاً؟ ولكن الناس لا يقرؤون في هذه الأيام أشعار تنيسون.

فقال المفتش مفكراً: تحضرني بعض الأبيات، وهي: «كانت تنظر إلى كاميلوت عندما قالت: وطار خيط العنكبوت بعيداً، وشُرخت المرآة من جانب إلى الجانب الآخر، فصاحت السيدة شالوت قائلة بهلع: لقد حلّت اللعنة فوق رأسي».

فقالت السيدة بانتري بشرود: هذا ما فعلته تماماً.

- مَن التي فعلت؟ وما الذي فعلته؟

- كانت نظراتها شبيهة بذلك.

- مَن تعنين؟

- مارينا غريغ.

- متى حدث ذلك؟

- ألم تخبرك الآنسة ماربل؟

- نعم، لم تخبرني، وإنما أرسلتني إليك.

- كان باستطاعتها أن تخبرك خيراً منّي. على أية حال كان ذلك مجرّد تخيّل من جانبي، ولكن الإنسان لا يستطيع أن ينسى عندما يرى شخصاً ينظر تلك النظرة.

فقال المفتش بإلحاح: أرجو أن تخبريني.

- كان ذلك في الحفل، أعني في حفل الاستقبال الخاص الذي أُقيم في الطابق العلوي، وكانت مارينا غريغ وزوجها يقفان على رأس الدرَج، وقد وجّهوا إليّ الدعوة باعتباري المالكة السابقة للبيت ولهيثر باعتبارها سكرتيرة الجمعية التي أعدّت ترتيبات الحفل. وتصادف صعودنا الدرَج في نفس الوقت وكنت واقفة هناك عندما لاحظت ما حدث.

- وما الذي لاحظته؟

- كانت هيثر بادكوك في قمّة السعادة بسب لقائها بالممثلة الكبيرة، ثم بدأت تروي قصة طويلة عن لقائهما السابق منذ زمن طويل، وكانت القصة مملّة بالنسبة لشخصية

مشهورة مثل مارينا غريغ، ثم لاحظت أن مارينا لم تكُن تقول الكلمات الصحيحة وأنها كانت تنظر نظرة غريبة.

- هل كانت تنظر إلى وجه السيدة بادكوك؟

- لا، لقد كان يبدو أنها نسيت تماماً وجود السيدة بادكوك، وكانت تنظر نظرات أشبه بنظرات السيدة شالوت وكأنها ترى شيئاً فظيعاً.

فقال المفتش ليستحثها على الاستمرار: كأنها تقول: لقد حلّت اللعنة فوق رأسي؟

- نعم، ولهذا تذكرت كلمات السيدة شالوت.

- ولكن إلى أي شيء كانت تحدق يا سيدة بانتري؟

- هذا ما لا أعلمه.

- أتقولين إنها كانت واقفة على رأس الدرَج؟

- نعم، وكان البعض يصعدون الدرَج في تلك اللحظة، وكانوا خمسة أو ستة على ما أذكر.

- هل كانت تنظر إلى واحد منهم على وجه التحديد؟

- لا أستطيع أن أجزم بشيء لأنني كنت أنظر إلى وجهها وليس إلى الجانب الآخر، كما كان ظهري تجاه الدرَج، ولكنني ظننت أنها كانت تحدق إلى إحدى

اللوحات.

- ولكنها كانت تعرف تلك اللوحات ولا تجد فيها ما يثير الفزع.

- بالتأكيد. إذن لا شكّ أنها كانت تنظر إلى شخص معيّن.

- حاولي أن تتذكري يا سيدة بانتري. هل تتذكرين الأشخاص الذين تجمعوا في المكان حينئذ؟

- نعم، أذكر العمدة وزوجته، وأذكر مراسلاً صحفياً أحمر الشعر لا أعرفه ولا أذكر اسمه، كما أذكر رجلاً أسود جسيماً وبصحبته إحدى الممثلات، وأذكر كذلك الجنرال بارنستايل الكهل، ثم السيد والسيدة غرايس الذين جاؤوا من المزرعة.

- أهؤلاء كل الأشخاص الذين تتذكرينهم؟

- نعم، ربما كان يوجد آخرون ولكنني لم أكُن منتبهة تماماً، وأذكر أن العمدة والجنرال بارنستايل والأمريكيَّين وصلوا في نفس الوقت تقريباً، كما كانت توجد شابة من لندن ذات شعر طويل تحمل آلة تصوير ضخمة.

- هل تعتقدين أن واحداً من هؤلاء الأشخاص هو الذي أثار تلك النظرة الفزعة؟

- لا أدري، لأن النظرة نفسها هي التي أثارت

انتباهي، ومع هذا فقد يكون ذلك كله من نسج خيالي لأنه من الجائز أن تكون السيدة مارينا قد أحست بصداع مفاجئ أو ألم في الأسنان.

فضحك المفتش بصوت عالٍ وهو يقول لها: أنت واقعية يا سيدتي، وقد يكون هذا هو ما حدث فعلاً.

ثم صافحها المفتش وانصرف ليقابل مفتش الشرطة المحلي.

* * *

الفصل السادس

التقى كرادوك بمفتش الشرطة المحلي الذي أخبره بما توصّل إليه، وهو أنه لم يكُن لهيثر بادكوك أعداء وأنها كانت على علاقة طيبة بزوجها، وأن الزوج يعمل في مكتب خبير مثمّن ووكيل عقاري ولا توجد له أي علاقات نسائية، ورغم أن الجارة تنصِب شبَاكها حوله لتتزوجه إلا أنه يعتقد أن الزوج غير منتبه لتدبيرها.

وبعد ذلك توجّه المفتش كرادوك إلى بيت كوسنغتون حيث استقبله هيلي بريستون الشاب الدائب الحركة، فأدرك المفتش أن الشاب يعمل سكرتيراً لجاسون راد. وأخذ الشاب يتحدث بطلاقة عن ظروف الحفل والنهاية المؤسفة، ثم قال إن المتوفاة قد تكون لديها حساسية ضدّ بعض المشروبات، وكرّر الشاب تلك العبارة أكثر من مرّة، فانتهز المفتش فرصة توقّفه عن الحديث وطلب منه أن يطلعه على المقعد الذي كانت تجلس عليه هيثر بادكوك قبل موتها، فكرّر الشاب رأيه حول احتمال حدوث الوفاة نتيجة الحساسية ضدّ المشروبات، ولكن المفتش أكّد له أن السيدة ماتت نتيجة

تناولها جرعة ضخمة من الكالمو، فقال بريستون: أعرف، أعرف. أنا نفسي أتناول هذا العقار بين الحين والآخر.

- أحقاً؟ وكيف تجد تأثيره؟

- رائع، إنه يهدئ الأعصاب ويبعث على الاسترخاء.

ثم عرف المفتش أن معظم أهل البيت يتناولون ذلك العقار وأنه متوفّر بكميات كبيرة في كل حمّامات البيت، ثم سأل المفتش عن الأشخاص الذين كانوا مكلّفين بتقديم الشراب للضيوف، فاعترف بريستون بأنه كان واحداً منهم. ثم سأله عمّن كان يصعد الدرَج مع هيثر بادكوك فقال بريستون: جيم غالبريث، وهو صحفي، واثنان من المصوّرين المحلّيين، ومصوّرة محترفة من لندن متخصّصة في التقاط الصور من زوايا غريبة، وبعد ذلك وصل أردويك فين.

- ومّن يكون أردويك فين؟

- ألا تعرفه يا سيدي المفتش؟ إنه واحد من ألمع نجوم التلفزيون والسينما، ولم يكُن أحد يعرف أنه وصل إلى القارّة، ومن ثم كان مجيئه إلى الحفل مفاجأة كبيرة.

- أهو صديق قديم للسيدة غريغ والسيد راد؟

- لقد كان صديقاً حميماً لمارينا منذ سنوات طويلة عندما تزوّجت زوجها الثاني، ولكنني لا أعرف درجة صداقته بجاسون.

فعاد المفتش يسأله عن أصناف المشروبات وطريقة تقديمها وعدد الأشخاص الذين صعدوا إلى الطابق العلوي، ثم اعترته الحيرة الشديدة؛ إذ كان يوجد ثلاثون شخصاً وكان باستطاعة أي واحد منهم أن يدسّ العقار في الشراب، ولكنه معرّض لاكتشاف أمره لو أن أحداً لمحه وهو يرتكب فعلته.

ثم طلب المفتش من هيلي بريستون السماح له بمقابلة السيدة غريغ، فاعتذر الشاب قائلاً: إنها طريحة الفراش ولا تسمح حالتها الصحية بمقابلة أحد، وهي الآن في غرفتها ومعها طبيبها الخاص الذي حرّر شهادة بذلك.

ثم أطلع المفتش على الشهادة وقال: إذا كنت تريد مقابلة السيد راد فسوف يعود من الأستوديو خلال عشر دقائق.

- حسناً، أريد أن أتحدث مع الطبيب.

- الدكتور غيلشيرت؟ سوف أخبره في الحال.

وغاب الشاب عن الأنظار في حين غرق المفتش في تفكير عميق قائلاً لنفسه: ألا يحتمل أن تكون النظرة الشبيهة بنظرة السيدة شالوت من نسج خيال السيدة بانتري؟

ثم أفاق المفتش على وقع خطوات مقبلة فقال للقادم: الدكتور غيلشيرت؟ أنا المفتش ديرموت كرادوك. هل تسمح لي بالحديث معك على انفراد؟

فقاده الطبيب إلى غرفته الخاصة في نهاية الممرّ، وعندما أغلق الطبيب الباب قال المفتش: لقد فهمت من الشهادة التي حرّرتها أن السيدة مارينا غريغ في حالة لا تسمح لها بمقابلة أحد، فماذا أصابها؟

- إن أعصابها متعَبة، ولو أنك وجّهت إليها أي سؤال فسوف يحدث لها انهيار عصبي، وأنا لا أسمح بذلك.

- وهل تستمرّ هذه الحالة طويلاً؟

- لا، سوف تعود إلى حالتها الطبيعية في خلال ثمانٍ وأربعين ساعة. أريد أن أعطيك فكرة عن حياة الممثلين، إنهم يعيشون في قلق دائم وهم يرون الأبصار تتابعهم دائماً، كما أنهم يعانون توتراً عصبياً مستمراً، ومن ثم يحتاجون إلى تناول العقاقير المهدئة والرعاية الطبية الدائمة.

وسكت الطبيب برهة ثم استطرد قائلاً: ثم إنه توجد نقطة أخرى، وهي أنه عندما يصل الممثل إلى القمة تزداد أعصابه توتراً ويداخله إحساس بعدم القدرة على إعطاء الانفعال المطلوب، ومن ثم يحتاج إلى مَن يعيد الثقة إليه ويطمئنه بصورة مستمرة، وهذا ما يفعله جاسون راد مع زوجته. لقد قاست مارينا غريغ كثيراً في حياتها؛ فلم تكُن موفّقة في زيجاتها السابقة، ولكنها الآن سعيدة لزواجها برجل يحبها، أو على الأقل هي تشعر بذلك في المرحلة الراهنة، ولكن المشكلة هي أنه إلى متى يستمرّ هذا الإحساس؟

فانتهز المفتش فرصة توقّف الطبيب عن الحديث وقال: هل تعتقد أنها انزعجت انزعاجاً شديداً بسبب المأساة التي حدثت في الحفل؟

- بالتأكيد.

- هل صارحتك بشيء معيّن؟

- لا أظن أن واجبي يسمح لي بالإجابة عن هذا السؤال.

- هل كانت مارينا غريغ تعرف تلك السيدة من قبل؟

- لا أظن أنها تعرفها منذ زمن طويل، ولا أعتقد أن الموضوع يتعلّق بهيثر بادكوك.

- هل كانت مارينا غريغ تستخدم عقار الكالمو؟

- كانت تستخدمه باستمرار مثلما يفعل كل فردّ يعيش في هذا البيت، حيث تتناول إيللا زايلنسكي كما يتناوله هيلي بريستون. إنه بدعة العصر.

- وهل لهذا العقار مفعول أكيد؟

- إنه يريح الأعصاب ويساعد الأشخاص الذين لا يستطيعون مساعدة أنفسهم.

- أريد أن أعرف الهدف الذي تعنيه. هل تخفي عنّي

أي شيء؟

- توجد أسرار للمهنة يا سيدي المفتش، ولكنني سوف أصارحك بسرّ شريطة أن يبقى هذا الأمر بيننا. بعض السيدات يقلن عبارات تحت تأثير التوتر العصبي قد لا يكون لها أي معنى.

- وماذا قالت مارينا غريغ؟

- لقد انهارت أعصابها في أعقاب الحادث فأرسلت في طلبي، وبقيت بجوارها ممسكاً يدها لأهدّئها، وقبل أن تغيب عن صوابها قالت: لقد كنت أنا المقصودة بالقتل.

فقال كرادوك بدهشة: هل قالت ذلك؟! وماذا قالت في اليوم التالي؟

- لم تُشِر إلى حديثها السابق بشيء، وعندما سألتها راوغتني وقالت إنني ربما لم أسمع جيداً.

- هل تعتقد أنها كانت تعني ما تقوله؟

- لقد كانت تعنيه بكل تأكيد.

والتزم المفتش الصمت برهة ثم استرسل قائلاً: إذا كانت شكوكها لها ما يبرّرها، ألا يعني هذا أن الخطر على حياتها لا يزال قائماً؟

- هذه هي المشكلة.

- هل تعتقد أن خطراً حقيقياً يهدّد مارينا غريغ؟

- لا، وهذا رأيي الشخصي، ولكن الأمر متروك لتقديرك كمفتش شرطة.

- ألا تستطيع أن تخمّن سبباً لمخاوفها؟

- لا أستطيع.

- شكراً لك. ولكن لدي سؤال أخير يا دكتور، هل تعتقد أنها قالت نفس الشيء لزوجها؟

- لا، أنا واثق من ذلك. والآن أستأذنك، فلا شكّ أن المريضة في حاجة إليّ.

وانصرف الطبيب في حين جاء هيلي قائلاً للمفتش: لقد عاد جاسون الآن، سوف أقودك إلى حجرته.

* * *

هبّ جاسون راد واقفاً ليستقبل المفتش الذي استرعى انتباهه قُبْح وجه المخرج مما يجعله أكثر شبهاً بمهرّج السيرك، ولكنه تأكّد من النظرة الأولى أنه يواجه رجلاً حاد الذكاء شديد السيطرة على أعصابه، وأنه لن يحصل على أكثر من المعلومات التي يسمح بها الرجل. وعندما ابتسم المخرج تبدّل قُبْح وجهه إلى رقة وعذوبة ملفتة للنظر، ثم عرض على المفتش كأساً من العصير، وعندما اعتذر المفتش قال جاسون باسماً: لا شكّ أنك تفكر في أن هذا البيت ليس بالبيت المناسب الذي تتناول فيه الشراب.

- في الواقع ليس هذا ما كنت أفكر فيه.

- حسناً، ما هي المعلومات التي تريد أن تعرفها منّي؟

- لقد أجاب السيد بريستون عن كل أسئلتي بدقّة متناهية، كما أنني التقيت بالدكتور غيلشيرت الذي أخبرني أن حالة زوجتك لا تسمح بسؤالها.

- مارينا امرأة شديدة الحساسية، ولا تنسَ أنها شاهدت جريمة تُرتكب أمام عينيها مما هزّ أعصابها هزّة عنيفة.

فقال المفتش: لا شكّ أنها تجرِبة غير سارّة.

- على أية حال أستطيع أن أجيب عن أيّ سؤال تحبّ أن توجهه إلى زوجتي.

- السؤال الأول هو، هل لك أو لزوجتك معرفة سابقة بهيثر بادكوك؟

فهزّ جاسون راد رأسه علامة للنفي قائلاً: لا، إطلاقاً. أنا لم أرَ تلك السيدة من قبل، وكان أول لقاء لي بها قبل موتها بخمس دقائق.

- ألم تقُل إنها التقت بزوجتك من قبل؟

- بلى، أظن أنه منذ ثلاثة عشر عاماً في برمودا، وكانت مارينا تفتتح حفلاً لإحدى فرق الإسعافات الأولية،

وعندما قدموا إليها السيدة بادكوك أخذت هذه تروي لها قصة طويلة عن إصرارها على مغادرة الفراش رغم إصابتها بالإنفلونزا كي تلتقي بالممثلة وتحصل على صورة عليها توقيعها، وهذا أمرٌ عاديّ في حياة كبار الممثلات، وأنا واثق من أن مارينا لم تكُن تذكر شيئاً عن تلك الواقعة.

- لقد أخبرتني إحدى المدعوات إلى الحفل أن نظرات الاستياء بدت على وجه زوجتك في أثناء حديث هيثر بادكوك لها، فما رأيك في هذا؟

- أنت تعرف طباع الممثلات، قد يحدث شيء كهذا، ولكن يكون بسبب شعورها بصداع مفاجئ. آه! نعم، أنا أذكر الآن أن مارينا شردت قليلاً في أثناء حديث بادكوك معها، وأنني دفعت مارينا برفق كي أنبّهها.

- هل تحوّل انتباها نحو شيء آخر؟

- ربما، وقد يكون سبب ذلك هو شعورها بالإرهاق.

- ألم يخطر ببالك أن موت هيثر بادكوك قد حدث بالمصادفة وأن زوجتك هي التي كانت مقصودة بالقتل؟

فتنهّد جاسون راد بعمق ثم قال: بلى، لقد خطرت هذه الفكرة بذهني.

- ولماذا لم تذكر ذلك في التحقيق؟

- لأنني لم أشأ أن تفكر زوجتي في أنها كانت عُرضة للقتل. لقد مرّت بظروف صحيّة سيئة، وهي الآن أحوج ما تكون إلى الشعور بالسعادة والأمان. لقد صادفت في زيجاتها السابقة قدراً كبيراً من التعاسة، وكانت مارينا تتطلع دائماً إلى الحب والسعادة والأمان، كما كانت متشوّقة للإنجاب، ووفقاً لآراء الأطباء كانت شدّة قلقها سبباً في خيبة آمالها. ثم نصحها أحد أكبر الأطباء أن تتبنّى طفلاً، فتبنّت مارينا ثلاثة أطفال فأحسّت بالسعادة بعض الوقت، ولكن هذا لم يكُن ما تصبو إليه. ولا يمكن أن تتصور مدى فرحتها عندما اكتشفت ذات يوم أنها حامل، وقد كانت في أتم صحة وأكّد لها الطبيب أن كل شيء سيكون على ما يرام، إلا أن النتيجة كانت مؤسفة؛ فقد ولدت طفلاً مختلّ العقل، فأُصيبت بانهيار عصبي ظلت تعالَج منه في إحدى المصحّات لسنوات عديدة، ورغم أن استعادتها لصحتها كان بطيئاً إلا أنها عوفيت تماماً. ثم تزوجنا بعد ذلك بفترة قصيرة، وبدأت تهتم بالحياة من جديد وتشعر أنها يمكن أن تصبح سعيدة.

وصمت جاسون برهة ثم استطرد قائلاً: في البداية كان من الصعب عليها أن تتعاقد لتمثيل أفلام جديدة، فارتاب الكثيرون في قدرتها على الصمود، إلا أنها خاضت التجرِبة بنجاح، وبدأنا في تصوير فِلم، ثم اشترينا هذا البيت وأجرينا عليه الكثير من التعديلات. ومنذ أسبوع واحد صرّحت مارينا أنها سعيدة حقاً وأنها ترغب في الإقامة الدائمة هنا، وبدأت

أعراض التوتر تختفي إلى أن وقع هذا الحادث، ولم أشأ أن أغامر بمصارحتها أنها هي التي كانت مقصودة بالقتل. هل فهمت وجهة نظري الآن؟

- نعم، ولكن ألا توافقني على أن الخطر لا يزال محيطاً بها وأنه من المحتمَل أن يكرّر القاتل المحاولة لأنه لم ينجح في الضربة الأولى؟

- لقد فكرت في ذلك بالتأكيد، ولكنني بعد أن تلقّيت هذا التحذير سوف أتخذ كافة الاحتياطات لضمان سلامتها. كل ما يهمّني هو أن لا تشعر بما يجري حولها.

- هل تظن أنها لا تعرف ذلك؟

- بالتأكيد، ليست لديها أية فكرة.

- هل أنت واثق من ذلك؟

- كل الثقة، فلا أظن أن فكرة كهذه خطرة ببالها.

- ولكنها خطرت ببالك.

- هذا أمر مختلف تماماً.

- دعني أوجّه إليك سؤالاً آخر، فيمَن تشتبه؟

- لا أستطيع أن أخبرك.

- هل تعني أنك لا تستطيع أم إنك لا تريد؟

- لا أستطيع.

- هل تستطيع أن تخبرني بالحقائق كما تراها؟

- الظروف واضحة تماماً. لقد صببت كأسين من العصير من إناء كان مجهزاً من قبل، ثم أعطيت واحدة للسيدة بادكوك والأخرى لمارينا، ولا أعرف شيئاً عما فعلته السيدة بادكوك بكأسها لأنها تقدّمت نحو شخص تعرفه لتتحدث إليه في حين كانت زوجتي تحمل كأسها في يدها. وفي تلك اللحظة اقترب العمدة وزوجته، فوضعت زوجتي الكأس على إحدى الموائد لترحب بالعمدة، ثم حضر عدد آخر من الضيوف، ومن بينهم صديق قديم لم نرَه منذ سنوات، كما حضرت بعض الشخصيات المحلية وفرد أو اثنان من العاملين بالاستوديوهات في حين كانت كأس العصير لا تزال موضوعة على المنضدة خلفنا، كما تمّ التقاط بعض الصور، ثم انتهزت تلك الفرصة لأجلب المزيد من كؤوس الشراب للضيوف الجُدد، ولا شكّ أن أحدهم دس السمّ في كأس زوجتي خلال تلك الفترة.

ثم نظر جاسون إلى المفتش قائلاً: أتسألني حول من تحوم شكوكي؟ إن أي واحد من نحو عشرين شخصاً كان بإمكانه أن يفعل ذلك. لقد كان الضيوف يتحركون في مجموعات لمشاهدة التعديلات التي أُدخلت على المبنى، وقد أجهدت فكري لأتذكر، ولكنني لا أستطيع أن أوجّه شكوكي نحو شخص معيّن.

- وما الذي حدث بعد ذلك؟

- عُدت إلى رأس الدرَج وكانت زوجتي تتجه نحو المنضدة لتأخذ كأسها، ثم سمعت السيدة بادكوك تتمتم ببعض كلمات الاعتذار، ويبدو أن أحدهم اصطدم بها فانزلقت الكأس من يدها وسقطت على الأرض، وقد سال بعض الشراب على ثوب مارينا التي تصرّفت وفق ما يمليه عليها واجبها كمضيفة إذ استخدمت منديلها لتمسح ثوب السيدة بادكوك، ثم قدمت إليها كأسها، وأذكر أنها قالت: "لقد تناولت ما يكفيني اليوم"، والشيء المؤكّد أن الجرعة القاتلة لم تُوضع في الشراب بعد ذلك لأن السيدة بادكوك بدأت تتجرّع الكأس في الحال ثم ماتت بعد ذلك بخمس دقائق، ولا أدري كيف كان شعور القاتل عندما شاهد فشل خطته.

- أنت تقول إنك لا تشكّ في شخص بعينه، إذن دعني أوجّه إليك السؤال من زاوية أخرى. مَن كان موجوداً وتعتقد أنه يرغب في إيذاء زوجتك؟

- أتقصد أعداءً؟ من الصعب تحديد معنى كلمة «عدوّ» لأن المجال الفني يوجد فيه الحسد والغيرة ومن يقولون كلمات شرّيرة، ولكن الأمر لا يصل بهم على حدّ القتل.

- مَن الذي يستفيد مادياً من موت زوجتك؟

- أنا كزوج، والممثلة التي تحلّ محلّها في الفِلم، ولكن الفِلم قد يُلغى كلّياً.

- كل ما أطلبه منك الآن هي قائمة بأسماء الأشخاص الذين كانوا موجودين في الطابق العلوي وقت ارتكاب الجريمة.

- سوف أستشير سكرتيرتي في هذا؛ فذاكرتها حادة كما أن لديها قائمة بأسماء الأشخاص المحليّين الذين وُجّهت إليهم الدعوة للصعود، هذا إذا أردت أن تراها الآن.

- أنا أحبّ أن أتحدّث إليها الآن.

* * *

الفصل السابع

قدّمت إيللا زايلنسكي إلى المفتش كرادوك قائمة مكتوبة على الآلة الكاتبة مؤكّدة له أنها لم تغفل اسماً واحداً، وعندما سألها عما إذا كان عملها يتصل بالاستوديوهات قالت: لا، وظيفتي هي الاهتمام بالشؤون الاجتماعية للسيدة غريغ والإشراف على إدارة البيت.

- هل أنت سعيدة بهذا العمل؟

- إنني أتقاضى مرتباً كبيراً، كما أنني أجد العمل مسلّياً.

- ما رأيك الشخصي في السيدة غريغ؟

- بالنسبة إليها كإنسانة هي لا تطاق؛ فهي شديدة العصبية متقلّبة الأهواء، أما كممثلة فهي ساحرة. وأنا أعرف طباعها جيّداً، ولذا لا أذكر أمامها الأشياء التي تثير أعصابها.

- مثل ماذا؟

- مثل الانهيار العصبي ومصحّات الأمراض العقلية، وأي شيء يتعلق بالأطفال.

- الأطفال؟ من أي ناحية؟

- حسناً، إن مزاجها ينحرف عندما ترى الأطفال أو عندما تسمع عن أشخاص سعداء بأطفالهم، وتشعر بالتعاسة عندما تعرف أن أحدهم رُزق بمولود لأنها تعرف أنها لن تنجب طفلاً آخر وأن المولود الوحيد الذي رُزقت به كان معتوهاً.

- ولكنني أعتقد أنها لا بدّ أن تنسى ولو قليلاً بعد مضيّ كل هذه السنوات.

- إنها لا تنسى مطلقاً.

- وما مشاعر السيد راد من هذه الناحية؟

- لم يكُن الطفل ابنه، وإنما كان ابن زوجها السابق إيزديور رايت.

- وأين هو الآن؟

- تزوج مرّة ثانية ويعيش في فلوريدا.

وشكرها المفتش لتعاونها قائلاً إنه سوف يعود للقائها مرّة أخرى إذا احتاج الأمر، وبعد ذلك عاد إلى الفندق الذي ينزل فيه مع المساعد تيدلر، وكان الأخير قد عاد من الأستوديو بعد يوم كامل قضاه في إجراء بعض التحرّيات

الخاصة التي ضمّنها تقريره، فسأل المفتش مساعده قائلاً: ماذا بشأن ماضي مارينا غريغ؟

فأجابه تيدلر قائلاً: لقد تزوّجت أكثر من مرة، وكان زوجها الأول نكرة يعمل في مكتب لسمسرة العقارات، ولذا تخلّصت منه وتزوجت أميراً أجنبياً، إلا أن هذا الزواج لم يدُم طويلاً، ثم تزوّجت النجم السينمائي روبرت تراسكوت، ويقال إنه كانت بينهما مغامرة عاطفية مثيرة اضطرّ فيها الزوج إلى دفع نفقة ضخمة لزوجته السابقة كي تتخلى عنه.

- ولكن هذا الزواج فشل، أليس كذلك؟

- بلى، ولكن مارينا كانت مولعة بحب زوجها، ولذا تحطم قلبها عندما هجرها. وبعد ذلك بعامين انغمست في قصّة حب جديدة مع الكاتب المسرحي إيزديور.

- حسناً، سوف نفحص الآن قائمة تتضمن أسماء اثنين وعشرين شخصاً، والمطلوب منا استبعاد بعضهم لنبحث بعد ذلك عن السيد المجهول هذا.

- هل لديك فكرة عن السيد المجهول هذا؟

- لا، إطلاقاً. وإذا لم يكُن جاسون راد فسوف أذهب إلى الآنسة ماربل لتزودّني بما لديها من معلومات عما يجري في هذه المنطقة.

* * *

كانت الآنسة ماربل تقوم بتحرّياتها بطريقتها الخاصة، فذهبت إلى محلّ تصفيف الشعر الذي تمتلكه السيدة جيمسون لتستعير مجموعة من المجلات الفنية القديمة كي تعرف المزيد من الأخبار عن الحياة الخاصة التي يعيشها الفنانون. وبينما كانت تقلّب صفحات إحدى المجلات رأت ظلاً فوق الصحيفة، فرفعت رأسها لتجد المفتش كرادوك ينظر إليها باسماً، ثم سألها المفتش عما يدفعها إلى قراءة أخبار النجوم فقالت: لقد أصبحت سيدة عجوزاً ولا يتيح لي بقائي في البيت أن أعرف أخبار المجتمع.

- وهذا سبب قدومي لزيارتك. إن معي قائمة تضمّ أسماء الأشخاص الذين كانوا موجودين لحظة مصرع السيدة بادكوك، وقد استبعدت بعض الشخصيات مثل العمدة وزوجته وشخصاً يُدعى ألدرمان وزوجته وعدداً آخر من الشخصيات المحلية، إلا أنني استبقيت الزوج لأنني أعلم أن شكوكك تتجه نحو الأزواج دائماً.

- ولكن أي الأزواج تعني يا بنيّ؟

فنظر إليها المفتش بحدّة وهو يقول: أي واحد تعتقدين؟

- أتعني جاسون راد؟

فصاح المفتش متهللاً: آه! أراك تشتركين معي في الرأي لأنني لا أعتقد أن هيثر بادكوك كانت المقصودة

بالقتل وإنما كانت مارينا غريغ هي الضحية المنشودة.

- هل يبدو هذا الاحتمال مؤكداً؟

- سوف أروي لك باختصار المعلومات التي حصلت عليها ثم أعرض عليك قائمة الأشخاص.

وعندما انتهى المفتش من تقديم ما لديه من المعلومات قالت له الآنسة ماربل: وماذا بشأن الأطفال؟

- الأطفال؟ ولكنه كان طفلاً وحيداً مختلّ العقل، وهو نزيل مصحّة للأمراض العقلية في أمريكا، أليس هذا ما تقصدينه؟

- نعم، لم أقصد هذا، وإنما أتحدّث عن الأطفال الذين يتعرض لهم المقال في هذه المجلة، الأطفال الذي تبنّتهم مارينا غريغ، ولدان وبنت. يوجد كلام كثير حول أحدهم، والذي ضحّت أمّه به كي تراه سعيداً يرفل في النعيم، ولا أجد شيئاً عن الطفلين الآخرَين. إن أحدهما لاجئ أجنبي، أما الطفلة فأمريكية. لقد قامت مارينا بالتبنّي في أوقات مختلفة، ولا أعرف شيئاً عن مصير هؤلاء الأطفال.

فنظر إليها المفتش بدهشة ثم قال: غريب أن تفكري في هذا الأمر. ما صلة هذا بالقضية؟

- أظن أن الأطفال لا يعيشون هنا، أليس كذلك؟

- أعتقد أنها تنفق عليهم لأن قواعد التبنّي تشترط ذلك، وربما كانت قد أودعت بعض الأموال لصالحهم.

فقالت الآنسة ماربل وهي تضغط على كلماتها: إنها عندما ملّت الأطفال طردتهم بعد كل حياة الرفاهية التي وفّرتها لهم، أليس كذلك؟

- لا أدري، ولكن هذا مُحتمل.

- ولكن للأطفال مشاعرهم التي لا يحسّ بها الكبار، وهو الشعور بالأذى عندما يتخلى عنهم الآخرون، فلا يعوّضهم التعليم أو المال عن المحبة التي يفتقدونها.

- حسناً، وما رأيك الشخصي؟

- لم أستقرّ على رأي بعد، وإنما كل ما يشغلني الآن هو أين يعيش هؤلاء الأولاد وماذا يفعلون.

- أستطيع أن أتحرّى عن هذه النقطة وأوافيك بالمعلومات. هل تحبين إلقاء نظرة على قائمة الأسماء الآن؟

- لن أفيدك بشيء لأنني لا أعرف شيئاً عن هؤلاء الأشخاص.

- أستطيع أن أعطيك المعلومات الضرورية. جاسون راد الزوج، والأزواج موضع شك دائماً، وهو مولع أشدّ الولع بزوجته، وهذا يلقي عليه ظلالاً من الشك.

- هذا ليس ضرورياً.

- لقد كان حريصاً على إخفاء حقيقة أن زوجته هي المقصودة بالقتل. هل كان يعتقد أننا أغبياء بحيث نغفل هذا الاحتمال؟ ثم يبرر موقفه بأنه يخشى أن يسبب ذلك رعباً لزوجته.

- وهل زوجته من النوع الذي يصل إلى حدّ الارتياع؟

- نعم، فهي سيدة عصبية متقلبة الأهواء، وقد تعرضت للانهيار العصبي أكثر من مرة.

فقالت الآنسة ماربل معترضة: ولكن هذا لا يعني أنها تفتقر إلى الشجاعة.

- هذا من الناحية الأخرى، إذا كانت تعرف أنها المقصودة بالقتل، ومن المحتمل أنها تعرف الفاعل.

- هل تعني أنها تعرف القاتل ولكنها لا تريد أن تكشف عنه؟

- أقول إن هذا مجرّد احتمال، والسبب هو أنها لا تريد أن يعرف زوجها الدافع إلى القتل.

- هذه فكرة مثيرة حقاً.

- والآن ها هي ذي قائمة الأسماء التي أعدّتها

السكرتيرة إيللا زايلنسكي.

فسألته الآنسة ماربل باهتمام قائلة: هل تعتقد أنها على علاقة حب بالزوج؟

- بالتأكيد، وهذا يعطيها المبرّر لارتكاب الجريمة.

- تقع كثير من السكرتيرات في حبّ مخدوميهن، ولكن نادراً ما تفكر إحداهن في القتل.

- ويوجد اثنان من الصحفيين المحلّيين ومصوّرة محترفة من لندن، ولكنني لا أظن أن أحدهم يحتاج إلى اهتمامنا بأمره. كما توجد الزوجة السابقة للزوج الثالث لمارينا التي ساءها أن تختطف الممثلة زوجها منذ اثنَي عشر عاماً، ولكنني لا أعتقد أنها تنتظر كل تلك السنين الطوال لتسمّم الممثلة، كما يوجد رجل يُدعى أردويك فين، وقد كان صديقاً حميماً لمارينا، ولكن لم يسمع أحد عنه شيئاً لسنوات طويلة، ثم ظهر في الحفل فجأة دون أن يدعوه أحد.

- هل من المحتمل أنها فزعت لرؤيته؟

- هذا مُحتمل. كما يوجد هيلي بريستون، السكرتير الشاب الذي كان يتحرك كالنحلة في كل مكان. هل كوّنت فكرة معينة الآن؟

- ليس تماماً، وإنما أكثر من احتمال، ولكنني ما زلت

مصرّة على معرفة مصير الأولاد.

- حسناً، سوف أتولى هذه المهمة.

❊ ❊ ❊

الفصل الثامن

كان المفتشان كرادوك وكورنيش يراجعان معاً قائمة الأسماء، فقال كورنيش: أعتقد أننا متفقان على أنه بعد وصول السيدة بانتري جاء القس ثم السيد والسيدة بادكوك، وأنه كان يوجد ثمانية أشخاص على الدرَج، هم العمدة وزوجته، وغرايس المزارع وزوجته، ودونا لدماكنيل وأردويك فين من الولايات المتحدة، والآنسة لُولا بروستر الأمريكية، بالإضافة إلى المصوّرة القادمة من لندن. وإزاء ما ذكرته السيدة بانتري عن النظرة الجامدة التي لاحت على وجه الممثلة يكون سبب ذلك واحد من هؤلاء الأشخاص، ونستطيع أن نستبعد العمدة والمزارع وزوجته مما يجعلنا نحصر البحث في أربعة أشخاص فقط، كما نستطيع أن نستبعد الصحفي المحلّي والمصوّرة المحترفة.

- يبقى الغرباء القادمون من أمريكا. لقد كان وصولهم مفاجئاً، كما أن لُولا بروستر هي مطلّقة الزوج الثالث لمارينا.

قال كورنيش بحماسة: أنا أعتبرها المتهمة الأولى.

- هل هذا رأيك يا فرانك؟ أبعد مضيّ نحو خمسة عشر عاماً وزواجها مرتين أخريين؟

- ولكنك توافقني على أنها بين من تشير إليهم أصابع الاتهام، أليس كذلك؟

- بلى، إن الاحتمال قائم، ولكن ما رأيك في الأشخاص الذين كانوا مكلّفين بالخدمة؟

- يوجد الخادم جوسيب وفتاتان استقدمهما جاسون من مشرب الأستوديو وأنا أعرفهما جيّداً.

- أفهم من هذا أنك توجّهني إلى سؤال الصحفي، ثم التوجّه إلى لندن لمقابلة أردويك فين ولُولا بروستر والمصورة... ما اسمها؟ مارغوت بنس؟

- نعم، ولكنني أرى أن لُولا بروستر أجدر بالاهتمام.

فقال ديرموت ببطء: أما أنا فأفكر في الصعوبات.

- أتعني دسّ السمّ في كأس مارينا دون أن يفطن أحد إلى ذلك؟

- حسناً، إن تلك المشكلة كانت تواجه أي فرد، فقد كانت فكرة جنونية.

فقال كورنيش: هل تعتقد أن جوسيب هو القاتل؟

- ليس لديه دافع، ولكن من يدري؟ على أي حال نفس الشيء ينطبق على إيللا زايلنسكي لأنها كانت مسؤولة عن تقديم الشراب أيضاً، وكذلك هيلي بريستون.

- هل تضيف إلى المشتبه فيهم شخصاً آخر؟

- نعم، الزوج بالتأكيد.

- عُدنا إلى الأزواج مرة أخرى! لقد اتجهت شكوكنا نحو بادكوك قبل أن نتّهم جاسون راد.

- ولكنه لو أراد أن يتخلص من زوجته فإن الطلاق أسهل.

- على أي حال توجد أشياء كثيرة لا نزال نجهلها.

ثم رنّ جرس الهاتف فرفع كورنيش السمّاعة واستمع إلى المتحدّث قليلاً، ثم أخبر كرادوك أن السيدة مارينا غريغ مستعدّة لمقابلته، فقرّر المفتش الإسراع إليها قبل أن تغيّر رأيها.

* * *

قابلته إيللا زايلنسكي بنشاطها وخفة حركتها المعهودة، ولكن المفتش لاحظ احمرار عينيها فظن أنها كانت تبكي، وكأن إيللا قد قرأت أفكاره لأنها أخرجت منديلها وعطست ثم مسحت أنفها، فقال المفتش: هل أُصبت بنزلة برد؟

- لا، إنها حُمّى الخريف، وهو نوع معيّن من الحساسية يصيبني في مثل هذا الموعد من كل عام. إن مارينا على استعداد لمقابلتك في الحال.

ورغم أن مارينا كانت مستلقية على الأريكة في حجرتها لحظة دخول المفتش إلا أنه لم يكُن يبدو عليها ما كان يتوقع، ورغم سنّها إلا أنها لا تزال تبدو فاتنة. واعتذرت مارينا للمفتش لأنها شغلته عن تأدية واجبه، ثم نكست رأسها وهي تقول: أنا جبانة، لقد كان أحدهم يريد التخلص منّي، ولكنني لا أريد أن أموت.

- ما الذي جعلك تعتقدين أن أحدهم كان يريد قتلك؟

فاتسعت عيناها وهي تجيبه قائلة: لأن السمّ كان في كأسي فضلاً عن...

وصمتت فقال المفتش: فضلاً عن ماذا يا آنسة غريغ؟

فتردّدت الممثلة برهة قبل أن تقول: قال لي جاسون إنه من الأفضل أن أخبرك بكل شيء.

- هذا معناه أنك صارحته بمخاوفك.

- أجل، لقد تردّدت في البداية، ولكنني اكتشفت أنه كان يعرف وأنه لم يشأ أن يصارحني بشكوكه.

- ولكنك لم تخبريني بعد يا آنسة غريغ، لماذا أراد أحدهم قتلك؟

فالتزمت الصمت مرة ثانية، ثم فتحت حقيبتها وأخرجت قصاصة من الورق أعطتها للمفتش. وكانت الكلمات مطبوعة على الآلة الكاتبة وهي: «لن تفلتي في المرة التالية».

فسألها كرادوك بحدّة قائلاً: متى تلقّيت هذه الرسالة؟

- لقد عثرت عليها فوق منضدة الزينة إثر عودتي من الحمّام.

- معنى هذا أن القاتل شخص من داخل البيت.

- ليس بالضرورة، فربما تسلّق أحدهم إلى الشرفة. لعله ظن أن ذلك سوف يزيد من خوفي، ولكنني شعرت بالغضب الشديد وطلبت مجيئك.

فابتسم المفتش وهو يقول: هل هذه أول رسالة تهديد تتلقينها؟

فتردّدت مارينا غريغ برهة قبل أن تقول: لا، لم تكُن الأولى.

- وماذا بشأن الرسائل السابقة؟

- كان ذلك منذ ثلاثة أسابيع عندما تلقيت الرسالة

الأولى، وقد جاءتني في الأستوديو، وكانت تقول: «استعدّي للموت».

ثم ضحكت مارينا غريغ ضحكة هستيرية واستطردت قائلة: لقد كانت شيئاً سخيفاً. في أول الأمر ظننت أن أحد المتعصّبين الدينيين ممن لا يرضون عن قيام السيدات بالتمثيل هو الذي أرسلها، ولهذا مزّقت الرسالة وألقيتها في سلة المهملات.

- هل أخبرت أحداً بشأنها؟

- لا؛ فقد كنا مشغولين بالتصوير حينئذ، وكان العمل هو كل ما يشغلني في ذلك الوقت، وقد اعتبرت الرسالة مجرّد مزاح سخيف.

- وهل تلقّيت رسائل أخرى بعد ذلك؟

- نعم، في يوم الاحتفال سلّم إليّ البستاني رسالة ظننت أنها خاصة بترتيبات الحفل، وقد أتى بالرسالة رجل يركب دراجة فظننت أن التهديد غير جادّ.

- أين هذه الرسالة الآن؟

- كانت في جيب الثوب الذي كنت أرتديه، ولكنني أعتقد أنها سقطت منّي.

- أليست لديك أدنى فكرة عن كاتب هذه الرسائل؟

فتحت مارينا غريغ عينيها على اتساعهما فبدت أكثر

فتنة وهي تقول: وكيف لي أن أعرف؟

- أنت ممثلة مشهورة يا سيدة غريغ، وقد أحبك رجال كثيرون ورغب بعضهم في الزواج بك، ومن الطبيعي أن توجد نساء يشعرن نحوك بالغيرة أو الحسد، ولا بدّ أن تكون لديك فكرة عن مرسل تلك الرسائل.

وفي تلك اللحظة فُتح الباب ودخل جاسون راد، فالتفتت الممثلة نحوه ثم قالت بسرعة: جنكز يا عزيزي، السيد كرادوك يصرّ على أنني أعلم كاتب تلك الرسائل الفظيعة، ولكنني لا أعرفه. وأنت على ثقة من أنني لا أعرفه، كما أنه لا يعرف أحدنا شيئاً.

فهمس كرادوك لنفسه قائلاً: إنها حريصة على تحذير زوجها، فهل كانت تخشى أن يقول شيئاً؟

كان الإجهاد يبدو واضحاً في عينَي جاسون راد الذي قال: ربما رأيت أن الأمر غير قابل للتصديق، ولكن لا أنا ولا مارينا لدينا فكرة عن هذا الموضوع حقاً.

- إذن أنتم من السعداء الذين لا أعداء لهم.

- ليس لدينا أعداء بالمعنى الذي تقصده.

- ومع هذا فقد دسّ أحدهم السمّ في الكأس.

فقال جاسون بملل: أنا لم أرَ شيئاً.

وقالت مارينا بإصرار: وأنا لم أرَ شيئاً أيضاً، أعني هل

كنت سأشرب الكأس لو أنني رأيت أحداً يضع شيئاً فيها؟

- ما زلت مقتنعاً بأنك تعرفين أكثر مما ترغبين في الإفصاح عنه.

- ليس هذا صحيحاً. قل له يا جاسون إن ذلك ليس صحيحاً.

فقال جاسون: أرى أن الأمر لا يعدو أن يكون مزحة، ولكن الفاعل لم يكُن يتخيّل أن النهاية سوف تكون مؤسفة.

فقال المفتش: أريد أن أسألك سؤالاً آخر. لا شك أنك تذكرين لحظة وصول السيد والسيدة بادكوك، وقد وصلا بعد القس مباشرة فقمت بتحيتهما بنفس اللطف الذي استقبلت به ضيوفك، ولكن إحدى الحاضرات أخبرتني أنك بعد تحية السيدة بادكوك مباشرة نظرت من فوق كتفها إلى شيء أفزعك، فهل هذا صحيح؟ وما الشيء الذي أفزعك؟

فأجابت مارينا بسرعة قائلة: ليس هذا صحيحاً بالتأكيد، شيء يفزعني؟ وأي شيء يمكن أن يفزعني؟

- هذا ما أريد أن أعرفه لأن الشاهدة تصرّ على ذلك.

- مَن هي الشاهدة؟ وماذا قالت بالضبط؟

- قالت إنك كنت تنظرين نحو الدرَج وقت صعود

مجموعة من الأشخاص، وهم صحفي والسيد غرايس وزوجته والسيد أردويك فين الذي كان قد وصل من أمريكا تواً، وكذلك الآنسة لُولا بروستر، فهل كان انحراف مزاجك بسبب رؤيتك واحداً من هؤلاء الأشخاص؟

فقالت مارينا بغضب: أقول لك إنني لم أكُن فزعة من شيء.

- ومع هذا فقد تحوّل اهتمامك عن تحية السيدة بادكوك، كما أنها قد وجّهت إليك سؤالاً ولكنك لم تجيبي عليها لأنك كنت تنظرين إلى شيء خلفها.

قالت مارينا بسرعة: أستطيع أن أفسّر لك ذلك. لو أن لديك فكرة عن التمثيل فلا بدّ أنك تعرف أنه يحدث أحياناً أن تمرّ على الممثل فترة ينسى فيها كلمات الشخصية التي يمثلها رغم أنه يحفظها جيداً، وهذا ما حدث لي. إن صحّتي ليست على ما يرام؛ فقد مرّت بي فترات عصبية، فضلاً عن ظروف الفِلم الحالي، وقد أردت النجاح للحفل وأن يشعر الجميع بالسرور وأنني أغمرهم بعطفي، وفي هذه الحالة يجب على الإنسان أن يكرّر نفس عبارات التحية بطريقة آلية، وكان كل واحد متشوقاً إلى لقائي ومن واجبي أن أعامله بلطف. لقد مرّت عليّ لحظة تعب نسيت خلالها كل شيء، ثم أدركت أن السيدة بادكوك كانت تروي قصة طويلة لم أسمع منها شيئاً، وأنها في شوق إلى سماع ردّي ولكنني كنت متعَبة جداً.

قال المفتش ببطء: هل كان مجرّد تعب؟ أما زلت مصرّة على ذلك يا سيدة غريغ؟

- نعم، وأنا لا أرى مبرراً لعدم تصديقك لما أقول.

فالتفت المفتش نحو جاسون راد قائلاً له: لا شك أنك تدرك أكثر من زوجتك معنى كلماتي. أنا مهتم بسلامة زوجتك، وإن أحدهم حاول قتلها، وقد وصلتها أكثر من رسالة تهديد، ومعنى هذا أن شخصاً قد يكون مجنوناً لا يزال يتحيّن الفرص كي ينفّذ وعيده، ولا سبيل إلى منع ذلك غير إخباري بكل ما لديكما من المعلومات.

استدار جاسون نحو زوجته قائلاً: لقد سمعت ما قاله المفتش يا مارينا، ومن المحتمل أنك تعرفين شيئاً لا أعرفه، ولهذا أتوسل إليك أن تتحدثي الآن إذا كان لديك ما يقال.

فقالت مارينا بملل: آه، ليس لدي شيء، يجب أن تصدّقوني.

فسألها المفتش قائلاً: مَن الذي أثار خوفك في ذلك اليوم؟

- لم أكُن خائفة من أحد.

- استمعي إليّ يا سيدة غريغ، كان أردويك فين ولُولا بروستر يصعدان الدرَج. ألم تكُن لديك فكرة أنهما سيحضران؟

- نعم، لم أكُن أعلم أنهما في إنكلترا، ولكنني سُررت برؤيتهما.

- ألم تكُن لُولا بروستر متزوجة بروبرت تراسكوت، زوجك الثالث؟

- بلى، والجميع يعرفون هذه الحقيقة.

- هل هدّدتك عندما تزوّجت زوجها؟

- لقد كانت مخمورة عندما قالت ما قالته ولكنها لم تكُن جادة، ثم إن ذلك كان منذ سنوات طويلة.

فقال جاسون: أؤكّد لك يا سيدي المفتش أن لُولا بروستر لم تغِب عن نظري في الحفل لحظة واحدة، ولا يمكن أن تدسّ السمّ في كأس زوجتي.

- وماذا بشأن أردويك فين؟

- إنه صديق قديم لم نرَه منذ أعوام طويلة رغم أن الرسائل لم تنقطع بيننا، وهو أحد نجوم التلفزيون الأمريكي.

ثم قال لمارينا: هل كان صديقاً لك أيضاً؟

فتنهّدت مارينا بضيق ثم قالت: نعم، وإذا كنت تتخيّل أن رؤيتي لأردويك أفزعتني فأنت واهم. لماذا أفزع لرؤيته؟ بل إنني فرحت عندما رأيته.

ثم رفعت مارينا رأسها باعتزاز وتحدّ، فقال لها

المفتش بهدوء: شكراً لك يا آنسة غريغ، ولكنني ما زلت أكرّر، إذا كان لديك ما تقولينه فإنني أنصحك بالإسراع.

* * *

الفصل التاسع

فوجئت السيدة بانتري وهي تنحني فوق أرض الحديقة لتنتزع الحشائش بإيللا زايلنسكي تخرج من كشك الهاتف العمومي الذي يقع في ركن الطريق العمومي، وعندما رأت إيللا تغادر الكشك بادرتها بالتحية ففوجئت السكرتيرة واعتراها الارتباك ثم قالت: مرحباً، لقد كنت أُجري اتصالاً هاتفياً من الكشك العمومي لأن هاتفنا معطل.

فقالت لها السيدة بانتري بمودّة: تستطيعين استخدام هاتفي في أي وقت تشائين.

وقاومت السيدة بانتري الفضول برهة ثم رفعت سمّاعة الهاتف وأدارت القرص فردّ عليها هيلي بريستون، وعندما تأكّد لها أن الهاتف غير معطّل اعتذرت له ثم اتصلت بالآنسة ماربل لتخبرها بهذه الواقعة، فقالت الآنسة ماربل: هذه مسألة مسلّية حقاً.

* * *

استعرض المفتش كرادوك بعض الأوراق الموضوعة فوق مكتبه بعدما سجّل عليها اسم المكان الذي تنزل فيه لُولا بروستر وأردويك فين، وبعد ذلك قرأ بعض البرقيات التي تلقاها ثم وضعها في جيبه باسماً وهو يهمس لنفسه قائلاً: حتى لا تقولي إنني لا أؤدّي واجبي كما ينبغي يا آنسة ماربل.

* * *

استقبلته لُولا وعلى فمها ابتسامة عريضة، وكانت لا تزال هي الأخرى مثل مارينا غريغ تحتفظ بقدر كبير من جمالها، ثم قالت للمفتش: أرجو أن لا تكون قد جئت مثل ذلك المفتش المحلّي لتوجّه إليّ المزيد من تلك الأسئلة الفظيعة. إنني أعتقد أن الأمر كلّه لا يعدو أن يكون خطأً كبيراً؛ إذ مَن الذي يفكّر في قتل مارينا؟ إنها كتلة من الرقّة والعذوبة، والكل يحبونها.

- وهل تحبينها أنت أيضاً؟

- بالتأكيد.

- ولكنها فزعت عندما رأتك فجأة على الدرَج لأنها تذكر تهديدك السابق بقتلها.

ثم أخرج المفتش من جيبه البرقية التي تلقاها وأخذ يقرأ كلمات التهديد التي قالتها لُولا عندما تزوجت مارينا زوجها قائلاً: «لن تفلت منّي تلك الكلبة، وإذا لم أتمكّن من

إطلاق النار عليها الآن فسوف أتخلّص منها بوسيلة أخرى، سوف أنتظر ولو كلّفني ذلك سنوات طويلة، ولكنني سوف أقتلها في النهاية».

فضحكت لُولا ضحكة عالية وهي تؤكّد أن الإنسان يقول الكثير في لحظات الغضب وأنه لا يوجد مبرر للقلق على مارينا.

فقال المفتش: ولكنها تعرّضت لمحاولة قتل، كما أنها لا تبدو سعيدة.

فقالت لُولا بانفعال: هكذا كانت مارينا دائماً. إنها تخلق من الحبّة قُبّة، حيث تتحدّث عن فشلها في الحب وعدم قدرتها على الإنجاب.

فقال المفتش وهو يتذكر ما قالته الآنسة ماربل: ولكنها تبنّت بعض الأطفال.

- لقد فعلت ذلك مرة، ولكن الأمر لم يستمرّ طويلاً لأنها ملّت الفكرة كعادتها، فهي تتحمّس للشيء اليوم وترفضه غداً.

- وماذا حدث لهؤلاء الأطفال؟

- ليست لدي فكرة، وكل ما أعرفه أنهم اختفوا فجأة عندما شعرت نحوهم بالملل، مثلما تفعل مع أي شيء.

* * *

بعد ذلك توجه المفتش لمقابلة أردويك فين، ومنذ النظرة الأولى أدرك المفتش أنه يواجه خصماً عنيداً، فسأله المفتش قائلاً: هل تعرف مارينا غريغ جيّداً؟

فأجابه أردويك بقوله: أعرفها منذ سنوات طويلة، ولا أستطيع أن أستسيغ الفكرة التي تردّدها الصحف حول تلك السيدة التي لا أذكر اسمها، والتي يقال إنها قُتلت على سبيل الخطأ. وعلى أية حال أنا لا أتصور أن أحداً يفكّر في التخلص من مارينا عن طريق السم، خصوصاً وأن لينيت براون لم تكُن موجودة في الحفل.

فسأله المفتش باهتمام قائلاً: ومَن تكون لينيت براون؟

- الممثلة التي تقوم بدور مارينا في حالة فسخ العقد، ولكنني لا أتصوّر أن تقوم بإرسال شخص ما ليدسّ السمّ في كأس مارينا غريغ.

- هل كانت المفاجأة شديدة عندما رأتك مارينا؟

- بالتأكيد، كانت مفاجأة عظيمة لها. إنها لم تصدّق عينيها حينما رأتني أصعد الدرَج، وقد حيّتني أحسن تحية.

- أعتقد أنك لم ترَها منذ وقت طويل، أعني منذ كنتما صديقين حميمين، أليس كذلك؟

فقال أردويك بانفعال: هل ترمي إلى هدف معيّن من وراء هذا السؤال؟

- من واجبي كشرطي أن أخوض في الماضي. يقال إنك كنت مجنوناً بحب مارينا، فهل هذا صحيح؟

- تمرّ على الإنسان بعض فترات الضعف، ولكنها سرعان ما تزول.

- يقال إنها شجّعتك في البداية ثم أدارت ظهرها إليك.

فصاح أردويك قائلاً بغضب: يقال يقال! أعتقد أنك قرأت هذه السخافات في بعض المجلات الفنية. لقد كنت مفتوناً بها حقاً في إحدى الفترات؛ فقد كانت ساحرة جذابة، وهي لا تزال كذلك.

- سمعت أنك أردت أن تسحب دور البطولة منها في أحد الأفلام، فلماذا؟

- لقد كنت شريكاً في الإنتاج، وكان من رأيي أن الدور لا يناسبها، وهذه وجهة نظر فنية لا دخل للعلاقات الشخصية فيها.

- ربما كانت مارينا تخالفك الرأي حول هذا الموضوع، وقد أخبرت بعض أصدقائها أنها تخافك.

- هل قالت ذلك؟

- هل تعتقد أنه لم يكُن يوجد مبرّر لخوفها منك؟

- لا يوجد بالتأكيد، وأياً كان رأيها فقد نسيت

الموضوع وطرحته وراء ظهري.

- أعتقد أن لديك معلومات كثيرة عن عالَم السينما.

- أجل، لأن لديّ مصالح مادية في هذا الميدان.

- وعلى هذا الأساس فلا بدّ أنك تعرف الكثير عما يدور في عالَم السينما.

- ربما.

- هل تعرف شخصاً معيّناً يمكن أن يفكر في إيذاء مارينا غريغ؟

- أستطيع أن أقول لك إنه يوجد الكثير، ولا تنسَ عوامل الغيرة والحسد.

- لقد كنت حاضراً الحفل في تلك الليلة ورأيتها وتحدّثت معها، فهل تعتقد أنك رأيت بين الحاضرين من تستطيع أن تتهمه بدسّ السمّ لمارينا غريغ؟

- لا أحب أن أتكلم في هذا الموضوع.

- معنى هذا أن لديك فكرة معيّنة.

فقال أردويك بجفاء: معناه أنه ليس لدي ما أقوله عن هذا الموضوع، وأن هذا هو كل ما تستطيع أن تحصل عليه منّي.

* * *

بعد ذلك توجّه المفتش كرادوك إلى عنوان مارغوت بنس وضغط الجرس أكثر من مرة قبل أن يفتح له شاب غزير الشعر متورّد الوجه، ثم اعتذر الشاب عن اضطراب المكان. وعندما سأله المفتش عن مارغوت أخبره أنها خرجت منذ نصف ساعة، ثم أطلعه المفتش على بطاقته فاضطرب الشاب قليلاً ثم قال: إدارة المباحث الجنائية؟ أعتقد أنني رأيت صورتك في الصحف. هل جئت كي تقبض على مارغوت؟

- لا، وإنما أتيت لأوجّه إليها بعض الأسئلة.

- إنها لا تلتقط صوراً فاضحة. أرجو أن لا يكون أحدهم قد زوّدك بمعلومات خاطئة.

- أريد أن أتحدّث معها باعتبارها شاهدة عيان على جريمة وقعت في سانت ماري ميد.

- آه! أذكر أنها حدّثتني عن تلك الجريمة التي وقعت في الحفل الذي أقيم لصالح جمعية إسعاف سانت جون. هل تريد أن تراها الآن؟

ثم عرض الشاب على المفتش أن يصحبه إلى المكان الذي ذهبت إليه مارغوت لالتقاط بعض الصور في معرض للأزياء، وعندما وصلا إلى المكان كانت المصوّرة تعطي تعليماتها لعارضتين من عارضات الأزياء كي تتخذا الوضع المناسب للتصوير. ثم صاح الشاب قائلاً: مارغوت.

فأدارت المصوّرة رأسها قائلة: آه! ما الذي جاء بك إلى هنا؟

- لقد أحضرت معي شخصاً يريد أن يراك، إنه المفتش كرادوك من إدارة المباحث الجنائية.

فاضطربت المصوّرة ولكنها سرعان ما تمالكت هدوء أعصابها ثم قالت: هل من خدمة أستطيع أن أؤدّيها لك يا سيدي المفتش؟

- كيف حالك يا آنسة بنس؟ أريد أن أوجّه إليك بعض الأسئلة عن الحادث المؤسف الذي وقع في بيت كوسنغتون حيث ذهبت لالتقاط بعض الصور.

فهزّت رأسها بالموافقة وهي تقول: نعم، ولكنني لم أرَك في الحفل. لقد جاءني مفتش شرطة آخر اسمه...

- المفتش كورنيش؟

- نعم، هذا صحيح، ومعنى هذا أن التحقيق خرج من يد السلطات المحلّية. تقول الصحف إن السيدة التي ماتت قُتلت على سبيل الخطأ، وإن مارينا غريغ هي التي كانت مقصودة بالقتل. هل هذا نوع من الدعاية لفِلمها الجديد؟

- ما رأيك في الذهاب إلى الأستوديو لنستأنف حديثنا هناك؟

وصحبته مارغوت في سيارتها إلى الأستوديو ولكنها

قد لزمت الصمت طَوال الرحلة، وعندما وصلا إلى الأستوديو قدمت إليه مقعداً وأبدت استعدادها للإجابة عن أسئلته، فقال كرادوك: هل استأجروك لالتقاط صور الحفل؟

- نعم، فأنا مصوّرة محترفة وأتعامل مع بعض الاستوديوهات السينمائية، وكانت مهمّتي هي التقاط بعض الصور لمارينا غريغ وهي تستقبل ضيوفها.

- سمعت أنك كنت واقفة على رأس الدرَج، فهل هذا صحيح؟

- نعم، فقد اخترت زاوية تسمح لي بالتقاط صور الأشخاص وهم يسلّمون على مارينا.

- معنى هذا أنك كنت ترين مارينا غريغ جيّداً من الموقع الذي اخترته للتصوير.

فهزّت الفتاة رأسها بالإيجاب فأردف المفتش قائلاً: وهل كنت ترين جاسون راد أيضاً؟

- بين الحين والحين لأنه كان يتحرّك بصورة مستمرة ليقدّم الأشخاص المشهورين، ولكنني لم أرَ تلك السيدة بادلي.

- وبادكوك؟

- عذراً، السيدة بادكوك؟ لم أشاهدها وهي تشرب

تلك الجرعة القاتلة، ولا أظن أنني أعرف شكلها.

- هل تتذكرين لحظة وصول العمدة؟

- نعم، أتذكرها جيداً، وقد التقطت له صورة جيدة وهو يصافح مارينا.

- أريدك أن تتذكّري تلك اللحظة وأن تركّزي عليها في ذهنك لأن السيد والسيدة بادكوك كانا يصعدان الدرَج قبل العمدة مباشرة.

فهزّت الفتاة رأسها قائلة: عذراً، ما زلت لا أتذكرها.

- لا أهمية لذلك. هل تعرفين أردويك فين؟

- أعرفه بالتأكيد؛ فهو أحد نجوم التلفزيون والسينما.

- هل التقطت صورة له؟

- نعم، التقطت له صورة وهو يصعد مع لُولا بروستر.

- هل لاحظت أن مارينا غريغ اضطربت في تلك اللحظة أو بدت على وجهها انفعالات غير طبيعية؟

فتردّدت مارغوت برهة ثم قالت بهدوء: لماذا تسألني هذا السؤال؟

- لأنه سؤال مهم جداً وأريد أن أسمع الإجابة عنه من مصدر موثوق فيه.

- وهل تعتقد أن إجابتي يُعتمد عليها؟

- نعم، لأنك اكتسبت عادة تصفّح وجوه الآخرين وانتظار اللحظات التي تعبّر فيها وجوههم عن انفعال معيّن قبل التقاط الصور.

فهزّت الفتاة رأسها بالإيجاب فقال المفتش: هل رأيت انفعالاً من هذا القبيل؟

- هل رأى شخص آخر هذا الانفعال؟

- نعم، أكثر من شخص، ولكن كل واحد منهم وصفه بشكل مختلف.

- أريد أن أعرف كيف وصفوه.

- قال أحدهم إن مارينا كاد يغمى عليها.

فهزّت مارغوت رأسها نفياً، واستطرد المفتش قائلاً: وقال آخر إن الفزع بدا على وجهها في حين قالت إحداهن إن نظرة جامدة بدت على وجهها.

فسكتت مارغوت تفكر فاستطرد المفتش قائلاً: لقد عبّرت الشاهدة بكلمات أخرى مقتبسة من شعر تنيسون الذي يقول: «شُرخت المرآة من جانب إلى جانب، فصرخت السيدة شالوت قائلة بفزع: لقد حلّت اللعنة فوق رأسي»!

فقالت مارغوت وهي تهبّ واقفة: انتظر، سوف أفعل شيئاً أفضل مما تطلبه.

وبحثت مارغوت في بعض الأدراج ثم عادت تحمل الصورة التي التقطتها لمارينا وهي تصافح سيدة ظهرها إلى آلة التصوير، ولم تكُن مارينا تنظر إلى وجه السيدة وإنما كان بصرها منحرفاً قليلاً إلى اليسار، ففوجئ المفتش بأن الوجه لا يعكس انفعالاً معيّناً، حيث كانت مارينا تحدق إلى شيء معيّن، ولكن وجهها كان يخلو من أي انفعال ظاهر. ثم تذكر كرادوك أنه رأى نفس النظرة على وجه أحد الرجال قبل أن يطلَق عليه الرصاص ويقع ميتاً. قالت مارغوت: هل ترضيك هذه الصورة؟

- شكراً لك. هل أستطيع الاحتفاظ بها؟

- بالتأكيد، فلديّ النسخة السلبية.

ثم قال المفتش بعد برهة: هل تعرفين مارينا غريغ معرفة شخصية؟

- لا.

- هل أنت قادمة من الولايات المتحدة؟

- وُلدتُ في إنكلترا ولكنني تدرّبت في أمريكا، وقد أتيت إلى هنا منذ ثلاث سنوات.

وكان كرادوك يعرف الإجابات مقدّماً من واقع

المعلومات التي تلقّاها، وكانت إجابات الفتاة صريحة مباشرة، ثم سألها قائلاً: أين تلقيت تدريبك؟

- في أستوديو ربنغاردن، كما تدرّبت بعض الوقت في أستوديو آندروا كيلب حيث تعلّمت منه الكثير.

- هل كنت تعيشين في سيفين سبرنغز؟

فقالت مارغوت باسمة: يبدو أنك تعرف عنّي الكثير. هل كنت تقوم بتحريات عن الماضي الخاص بي؟

- أنت مصوّرة معروفة يا آنسة بنس، وقد قرأت مقالات كثيرة تتحدّث عنك. لماذا أتيت إلى إنكلترا؟

فهزّت كتفيها قائلة: سعياً وراء التغيير، فضلاً عن أنني وُلدت في إنكلترا رغم ذهابي إلى الولايات المتحدة في طفولتي.

- هل كان ذلك في الطفولة المبكّرة؟

- لقد كنت في الخامسة من عمري، إذا كان ذلك يهمّك.

- أعتقد أنه يهمّني لأنني واثق من أنك تعرفين مارينا غريغ معرفة أوثق مما تزعمين.

وكان المفتش يتخيل الآنسة ماربل العجوز واقفة أمامه تحثّه على الإلحاح على الاستمرار، فضحكت مارغوت وقالت: حاول أن تثبت ذلك إن استطعت.

- حسناً، أليس من الأفضل أن تذكري الحقيقة أنت؟ هلاّ اعترفت أن مارينا غريغ تبنّتك وأنت طفلة وأنك عشت معها أربع سنوات؟

فامتُقع وجه مارغوت ثم قالت باستسلام: هذا صحيح. لقد أخذتني مارينا معها إلى أمريكا، وكانت تتخيّل أنها بذلك توفّر لي حياة أفضل.

فقال المفتش: لقد كنتم ثلاثة أطفال تبنّتهم مارينا في أوقات مختلفة ومن أماكن مختلفة، أليس كذلك؟

- بلى، أنا ورود وأنغوس، وكان أنغوس أكبر منّي في حين كان رود أصغرنا. لقد توفّرت لنا حياة رغدة، الملابس الفاخرة والسيارة والمسكن الرائع والدراسة والطعام الشهي، وكنا نستمتع بكل شيء ومارينا تغمرنا بعطفها وتحرص على أن تُلتقط لها صور معنا، ولكنها لم تكن تريدنا. إنها كانت تمثل دوراً!

- إلى متى استمرّت تلك المرحلة؟

- إلى أن بدأت مارينا تملّ تمثيل دور الأم الحنون عندما اكتشفت أنها حامل.

- وماذا حدث بعد ذلك؟

- رُزقت بالمولود ونالت ما تستحقه. لقد كان الطفل مختلّ العقل فتخلّصت منه، ولكن الحق يقال، إنها خصّصت لنا مبالغ كبيرة لتربيتنا وتعليمنا، ولا أحد يستطيع

أن ينكر أنها كانت سخية معنا، ولكنها لم تكُن تريدنا، بل كانت تريد طفلاً من نسلها.

- أعتقد أنه لا يستطيع أحد أن يلومها على ذلك.

- وماذا بشأننا نحن الذين انتُزعنا من أحضان أُسَرنا؟

- أرى أن قلبك مملوء بالمرارة.

- أنا لم أعُد أشعر بالمرارة. لقد اجتزت تلك المرحلة، وشعوري بالمرارة الآن سببه أنني أتذكّر تلك الأيام. على أية حال كلّنا نشعر بالمرارة.

- مَن تعنين بقولك «كلّنا»؟

- حسناً، تستطيع أن تستثني رود، ولكن أنغوس يشاركني الإحساس بالمرارة، وقد قال إنه سوف يقتل ابنها عندما يكبر.

- هل تكرهين مارينا غريغ إلى هذا الحد؟

- كيف لا أكرهها وقد أساءت إليّ أكثر من أي إنسان آخر؟

- هل فوجئت مارينا عندما رأتك في الحفل؟

فقالت مارغوت باحتقار: هي؟! إنها لم تتذكرني، أنا التي عشت معها من سن الخامسة حتى التاسعة.

- ألم تخبريها مَن أنت؟

- نعم، لم أخبرها، فهذا آخِر شيء يخطر ببالي.

- هل حاولت قتلها بالسمّ يا آنسة بنس؟

فضحكت مارغوت ضحكة هستيرية ثم قالت: يا له من سؤال سخيف! ولكنك معذور لأنك تؤدّي واجبك. أؤكّد لك أنني لم أقتلها.

- ليس هذا هو الردّ عن سؤالي يا آنسة بنس.

فبدت الحيرة على وجهها ثم قال المفتش: مارينا غريغ لا تزال على قيد الحياة.

- إلى متى؟

- ماذا تقصدين بقولك هذا؟

- ألا ترى أن ذلك متوقّع؟ سوف يكرر أحدهم محاولته، وربما نجح في المرة القادمة.

- هل لديك فكرة عمّن ارتكب الجريمة؟

- أؤكّد لك يا سيدي المفتش أنني لا أعرف شيئاً أبداً.

* * *

الفصل العاشر

ذهبت شيري لزيارة جارتها غلاديس ديكسون الخيّاطة لتستعير منها نموذجاً ورقياً، وعندما طرقت على باب جارتها أطلّت السيدة ديكسون من نافذة المطبخ قائلة: أهذه أنت يا شيري؟ غلاديس في الطابق العلوي مشغولة بتفصيل أحد الأثواب.

فصعدت شيري إلى غرفة نوم صغيرة في الطابق العلوي حيث كانت غلاديس جالسة على الأرض أمام نموذج من الورق وفي فمها كمية من الدبابيس، فقالت لها غلاديس: مرحباً شيري. انظري، لقد اشتريت قطعة قماش رائعة وسوف أفصّلها على نفس النموذج الورقي الذي استخدمته في قطعة القماش التريلين.

- سوف يكون ثوباً بديعاً.

ثم وقفت غلاديس وهي تقول: أنا أشعر بعُسر في الهضم الآن.

- يجب أن لا تقومي بالخياطة بعد العَشاء مباشرة.

فقالت غلاديس: أريد أن أتخلّص من بعض وزني.

ثم سألتها شيري قائلة: هل لديك أخبار جديدة عن الأستوديو؟

وكانت شيري شديدة الحماسة للأفلام الجديدة، فقالت غلاديس: لا جديد، ولكن كثيراً من الهمس يدور في الأستوديو بعدما أحدثت مارينا غريغ ضجة كبيرة أمس.

- كيف؟

- عندما قدّموا إليها قدح القهوة في الصباح كالعادة رشفت منه رشفة، ثم رفضته قائلة إن طعمه غير مستساغ.

فقالت شيري معقّبة: إنها الأعصاب، وماذا حدث بعد ذلك؟

- لا شيء، هدّأها السيد راد ثم سكب القهوة في الحوض.

- أليس هذا تصرّفاً غريباً؟

- ماذا تقصدين؟

- لو أن شيئاً كان في القهوة فلن يعرف أحد ما كان فيها.

- أتعتقدين أن القهوة لم تكُن طبيعية؟

- نعم، لقد حدث خطأ ليلة الحفل الذي أُقيم لصالح جمعية الإسعاف، فلماذا لا يحدث شيء في القهوة؟ إذا فشلت محاولة بعضهم في المرة الأولى فلماذا لا يحاول مرة أخرى؟

فارتجفت غلاديس وهي تقول: أنا لا أشعر بالاطمئنان تجاه بعض الأمور التي تحدث؛ فقد صدمت شاحنة تمثالاً من المرمر داخل الأستوديو فسقط التمثال فوق المقعد الذي كان مفترضاً أن تجلس عليه مارينا غريغ لتصوير أحد المشاهد، ولحسن الحظ وقع الحادث قبل وصول مارينا بدقائق، فطلب السيد راد تغيير المقعد الذي تحطّم. وعندما رأت مارينا المقعد الجديد سألت عن السبب فقال لها إنه استُبدل لأنه ليس مطابقاً لطراز العصر الذي يصوّره الفِلم.

ثم تبادلت الفتاتان النظرات وقالت شيري: إنه حادث مثير ومع هذا...

فقاطعتها غلاديس قائلة: أنا أفكّر في ترك عملي في مشرب الأستوديو.

- لماذا؟ لا يوجد أحد يرغب في تسميمك أو تحطيم تمثال فوق رأسك.

- ولكن الذي يحدث دائماً هو أن الشخص المستهدَف لا يموت ويلقى غيره مصرعه، مثلما حدث مع هيثر بادكوك في ذلك اليوم.

- هذا صحيح.

- لقد كنت أساعد الخدم في الحفل وكنت قريبة من المكان الذي وقع فيه الحادث.

- متى؟ عندما ماتت هيثر؟

- لا، عندما انسكبت كأس الشراب ولوّثت رداء هيثر. لقد كان ثوباً جميلاً، وقد فصّلته خصيصاً لتظهر به في الحفل. لقد كان أمراً مضحكاً حقاً.

- ما الذي كان مضحكاً؟

- أنا متأكدة من أنها فعلت ذلك عامدة.

- أتقصدين أنها سكبت الكأس عن عمد؟

- نعم، لهذا أرى الأمر مضحكاً. ألا تشاركينني الرأي؟

- أتسكب الشراب على ثوبها الجديد؟! أنا لا أصدق هذا.

- ماذا سيفعل آرثر بادكوك الآن بثياب هيثر؟ يمكننا أن ننظف ذلك الثوب بسهولة. هل تعتقدين أنه يكون طلباً خالياً من الذوق لو أنني عرضت على آرثر أن يبيعني ذلك الثوب؟

فتردّدت شيري برهة قبل أن تقول: لن تفعلي شيئاً

كهذا، أتحبين أن ترتدي ثوباً كانت ترتديه امرأة ماتت بتلك الطريقة؟

- إنني لم أفكّر في الأمر على هذا النحو، وإنما رأيت أن الثوب رائع ومقاسه يناسبني، وسوف أمرّ في الصباح على جوسيب لأتحدّث إليه في هذا الموضوع.

- هل تقصدين الخادم الإيطالي؟

- نعم. إنه رجل شديد الوسامة وعيناه ساحرتان. صحيح أنه يكون شديد العصبية في بعض الأحيان ولكنه بالغ الرقة في أعماقه.

- أنت تختلقين عذراً للتحدث معه. كوني على حذر من هؤلاء الإيطاليين؛ فهم عاطفيون.

* * *

ابتسم الدكتور هايدوك ابتسامة عريضة وهو يرى الآنسة ماربل في أتمّ صحة بعد أن عملت بنصيحته وشغلت نفسها بهوايتها المفضّلة في إماطة اللثام عن الجرائم الغامضة، ثم سألها قائلاً: هل توصّلت إلى بعض الاستنتاجات في قضية هيثر بادكوك؟

فقالت الآنسة ماربل: بالتأكيد، لقد توصّلت إلى بعض الاستنتاجات الحاسمة.

- مثل ماذا؟

- مثل أنه إذا كان أحدهم قد دسّ شيئاً في الكأس فلا بدّ أن أحداً قد شاهده، ولا شكّ أن القاتل كان يضع هذا الاحتمال في اعتباره.

- أنا أتفق معك في هذا الرأي.

- كان يوجد على مسرح الحادث بين ثمانية عشرة وعشرين شخصاً، ولا بدّ أن واحداً منهم شاهد الأمر يحدث أمام عينيه.

- ومع هذا فلم يرَ أحد شيئاً.

- إنني مدهوشة حقاً لأنه لا بدّ أن يشاهد شخص على الأقل من بين العشرين ما حدث.

- هل أستطيع أن أستمع إلى استنتاجاتك؟

ففكرت الآنسة ماربل قليلاً ثم قالت: توجد ثلاثة احتمالات، الاحتمال الأول هو أن الشخص الذي رأى ما حدث لم يدرك معنى ما وقع تحت بصره، وهذا يعني أنه شخص غبي. دعنا نقُل إنه شخص يستخدم عينيه ولا يستخدم عقله، ومثل ذلك الشخص لو سألته: "هل شاهدت أحداً يضع شيئاً في كأس مارينا غريغ؟" فسوف يكون ردّه: "لا"، ولكن لو قلت له: "هل شاهدت شخصاً يضع يده فوق كأس مارينا غريغ؟" فمن المحتمل أن يقول: "نعم، لقد رأيت ذلك".

فضحك الطبيب ثم قال: فهمت وجهة نظرك. وماذا

عن الاحتمال الثاني؟

- يوجد أمر لم يكُن يحدث على أيامنا ولكنه يحدث كثيراً الآن. لقد كنا نتناول الأقراص والأدوية، ولكننا لا نتناولها ونحن نأكل أو نشرب أمام الناس، أما الآن فالرجال والنساء يضعون في جيوبهم أو حقائبهم الأقراص وعُلب الأدوية ولا يستنكفون عن ابتلاعها أو وضعها في كؤوس الشراب تحت سمع الآخرين وأبصارهم. هل تفهم ما أعنيه؟

- نعم، ولكنني أريد أن تعبّر كلماتك عما تقصدينه؟

- أعني أن شخصاً جسوراً قد غامر، أو غامرت، برفع الكأس ليدسّ فيه ما يشاء علانية، وفي هذه الحالة لا يفكر الناس فيما شاهدوه مرتين.

- ورغم هذا فلم يكُن هو، أو هي، واثقاً من أن أحداً قد شاهده وهو يفعل فعلته.

- لا، لقد كانت مغامرة أو مخاطرة، ولكنها يمكن أن تحدث. بعد ذلك يأتي الاحتمال الثالث.

- الاحتمال الأول شخص ضعيف الملاحظة، والثاني إنسان مغامر، فما الاحتمال الثالث؟

- هو أن أحد الأشخاص شاهد ما حدث ولكنه تعمّد الصمت.

فقطب الطبيب جبينه وهو يقول: وما سبب صمته؟ هل هي الرغبة في ابتزاز المال عن طريق التهديد؟ في هذه الحالة...

فقاطعته الآنسة ماربل قائلة: في هذه الحالة يكون تصرّفه بالغ الخطورة.

- أجل، وهل ترين أن الاحتمال الثالث هو الاحتمال رقم واحد من وجهة نظرك؟

- لا، لا أريد أن أذهب إلى هذا الحد لأن الأدلّة التي تحت يدي ليست كافية، ما لم يتعرّض شخص جديد للقتل.

- هل تعتقدين أن شخصاً ما معرّض للقتل؟

- أرجو أن لا يحدث ذلك، ولكنه غالباً ما يحدث يا دكتور هايدوك، وهذا شيء مروّع.

* * *

الفصل الحادي عشر

أعادت إيللا زايلنسكي سمّاعة الهاتف وهي تبتسم بزهو قائلة لنفسها: لقد تفوّقت في عملي على المفتش كرادوك.

وكانت سعيدة وهي تفكر في الطرف الآخر الذي تحدثت إليه منذ قليل قائلة بصوت هامس يحمل رنين التهديد: لقد شاهدتك.

ثم تجاوزت إيللا كشك الهاتف العمومي الذي تحدثت منه منذ قليل، ولوّحت بيدها رداً على تحية السيدة بانتري وهي تهمس لنفسها قائلة: تعساً لتلك المرأة العجوز.

لن يشكّ أحد في أنها صاحبة الحديث الهاتفي الهامس. وفي تلك اللحظة عطست فحدّثت نفسها قائلة: اللعنة على حمّى الخريف هذه.

وعندما عادت إلى مكتبها كان جاسون راد واقفاً بالقرب من النافذة بقلق فسألته بعصبية قائلة: ماذا بك؟

فأخرج من جيبه قصاصة من الورق وهو يقول: هذه نتيجة تحليل القهوة. إن القهوة التي قُدّمت إلى مارينا كانت مخلوطة بالزرنيخ.

فقالت إيللا بارتياع: هل أرسلت بها للتحليل؟ ولكنك سكبتها في الحوض، وقد رأيتك بنفسي!

- قد لا تعلمين أنني أتميز بخفة اليد يا إيللا. صحيح أنني سكبت معظم القهوة ولكنني أبقيت القليل الذي أرسلته للتحليل.

فنظرت إيللا إلى الورقة برهة ثم قالت بدهشة: زرنيخ! إذن فقد كانت مارينا محقّة عندما قالت إنها أحسّت بمذاق لاذع؟

- إنها لم تكُن على صواب في هذا لأن الزرنيخ لا طعم له، ولكن غريزتها كانت على حق.

- لقد كنا نظن أنها تعاني حالة هستيرية.

- مَن ذا الذي لا يفقد أعصابه وهو يرى سيدة تموت تحت قدميه ويتلقى التهديد تلو التهديد؟

فهزّت إيللا رأسها وهي تتساءل قائلة: مَن الذي يرتكب كل هذه الأفعال؟ ولكنني أعتقد أن الأمر في غاية السهولة مع كل هذه النوافذ المفتوحة.

فقال جاسون بانفعال: رسائل التهديد لا تهمّ، ولكن

استخدام الزرنيخ شيء آخر.

- لا أحد يستطيع أن يصل إلى الطعام الذي يُقدّم إليها.

- ألا يستطيعون ذلك حقاً؟

- نعم، لا يستطيعون دون أن يتعرضوا لاكتشاف أمرهم، كما أنه لا يستطيع أحد أن يتسلل إلى البيت.

- إن الناس يفعلون أي شيء تحت إغراء المال.

- أنا واثقة من جميع الخدم.

- وما رأيك في جوسيب؟ لقد عمل معنا منذ فترة طويلة ولكن...

- لماذا تعذّب نفسك على هذا النحو يا جاسون؟

فارتمى جاسون راد على أحد المقاعد وهو يقول: يا إلهي! ماذا أفعل؟

فالتزمت إيللا الصمت وهي تراقبه فأردف جاسون يقول: لقد كانت سعيدة هنا، كانت تقول إنها تشعر في هذا المكان بالسعادة والأمان. الأمان؟ يا إلهي!

فتململت إيللا وهي تتحرك من مكانها قائلة باستياء: لا يمكن أن تسير الحياة على وتيرة واحدة، ويجب على الإنسان أن يتقبل الحياة كما هي، وبعض الناس يستطيعون

ذلك والبعض لا يستطيع، وهي من ذلك الطراز الذي لا يستطيع.

ثم عطست إيللا فقال جاسون: هل عاودتك حمى الخريف مرة أخرى؟

- نعم. بالمناسبة، لقد نسيت أن أخبرك بأن جوسيب ذهب إلى لندن؛ فقد سمع أن بعض أقربائه في سوهو قد وقعوا في مأزق، ويبدو أن أحدهم أُصيب بمرض خطير، فسمحت له بالسفر وسوف يعود الليلة. أرجو أن لا يكون لديك اعتراض.

فوقف جاسون وهو يقول: لو كان بوسعي أن آخذها بعيداً عن هذا المكان الآن، على الفور.

فعطست إيللا مرة أخرى ثم قالت إنها سوف تذهب إلى غرفتها لتستخدم رشاشة المهدّئ، وغادرت الحجرة وهي تردّد في نفسها: مارينا، مارينا، مارينا دائماً.

وصعد الدم إلى رأسها فدخلت الحمّام وأخرجت الرشاشة لتستخدمها، فأدخلت طرفها إلى أنفها وضغطتها فعطست. لقد جاء الحذر متأخراً عن موعده، حيث أدرك عقلها أن رائحة الرذاذ شاذة، ولكن بعد أن ضغطت أصابعها على الرشاشة وأطلقت الرذاذ.

* * *

وضع المفتش كورنيش السمّاعة وهو يقول: إن الآنسة بروستر تقضي اليوم خارج لندن.

فسأله كرادوك قائلاً: وماذا بشأن أردويك فين؟

- تركت له رسالة كي يتصل بك فور عودته، أما مارغوت بنس فهي في مهمّة، ويقول شريكها إنه لا يعرف أين هي، أما الخادم الإيطالي فقد توجّه إلى لندن.

فقال كرادوك بدهشة: لماذا كان الإيطالي شغوفاً بالذهاب إلى لندن؟

- أليس من المحتمَل أن يكون قد وضع السيانيد في الرشاشة قبل مغادرته البيت؟

- إن أي إنسان يستطيع أن يفعل ذلك.

- ولكنها مخاطرة غير مأمونة العواقب.

- أنت تعرف أن القاتل لا يتورع عن الإقدام على أية مخاطرة.

- لقد وضعنا رجلاً للحراسة في الطابق السفلي.

- أعرف ذلك، ولكن رجلاً واحداً لا يكفي. وعلى أية حال فالحراسة مشدّدة حول مارينا، ولكن لم يخطر ببالي أن شخصاً آخر سيتعرض للخطر.

رنّ جرس الهاتف فرفع كورنيش السمّاعة ليردّ على

المتحدّث، ثم سلّم السمّاعة إلى كرادوك قائلاً بأن المتحدث هو أردويك فين، فقال له المفتش: سيد فين، يؤسفني أن أخبرك بأن الآنسة زايلنسكي تُوفّيت هذا الصباح متأثّرة بسمّ السيانيد.

- أحقاً؟ لقد صدمتني بالخبر! هل كان حادثاً عرَضياً؟

- لا، لقد دسّ أحدهم السم في رشاشة الأنف التي اعتادت استخدامها.

- حسناً، ولماذا تتصل بي كي تخبرني بذلك؟

- ألم تكُن تعرف الآنسة زايلنسكي يا سيد فين؟

- بلى، كنت أعرفها بالتأكيد، ولكنها لم تكُن صديقة حميمة.

- لقد ظننت أنك قد تستطيع مساعدتنا.

- كيف؟

- بأن تبيّن لنا الدافع إلى قتلها، وأنت تعرف أنها غريبة في هذا البلد.

- أرى أن جاسون راد هو الشخص المناسب لأداء هذه المهمّة.

- لقد فعلنا ذلك، ولكنك ربما كنت تعلم شيئاً لا

يعرفه جاسون راد.

- أخشى أن أخبرك بأن كل معلوماتي عنها أنها شابة مجتهدة في عملها، أما عن حياتها الشخصية فأنا لا أعرف شيئاً على الإطلاق.

- أتعني أنك لا تستطيع أن تقترح علينا شيئاً؟

وكان المفتش يتوقع أن يكون الردّ بالنفي، ولكنه فوجئ بأردويك يقول: سوف أقول لك شيئاً قد يساعدك، وعندما أصارحك به سوف تدرك لماذا أردت أن أكتمه. إن ما سأرويه لك هو الحقيقة. لقد تلقيت مكالمة هاتفية منذ يومين، وكان المتحدث يقول بصوت هامس: لقد رأيتك وأنت تضع الأقراص في الكأس، ولم تكُن تتوقع أن يراك أحد. هذا كل ما لدي الآن، وسوف أتصل بك عاجلاً لأحدّد لك ما ينبغي أن تفعله.

فشهق المفتش من الدهشة فاستطرد فين قائلاً: ولكنني أؤكّد لك أنني لم أفعل ذلك، وأتحدّى أي إنسان يمكنه إثبات عكس ما أقول. لقد كانت الآنسة زايلنسكي تهدّدني وتبتزّني.

- وكيف عرفت صوتها في حين كان المتحدّث يتكلّم بصوت هامس؟

- لأن المتحدّث عطس قبل أن ينهي المكالمة، وكنت أعلم أن الآنسة زايلنسكي مصابة بحمّى الخريف.

- وما رأيك فيما حدث؟

- إن الآنسة زايلنسكي أخطأت في توجيه الاتهام إليّ، كما أن التهديد بابتزاز المال لعبة خطرة.

- يجب أن أشكرك على هذه الصراحة يا سيد فين، وسوف أُجري التحريات اللازمة للتحقق من صدق كلامك.

* * *

كان الوقت بعد منتصف الليل عندما عاد جوسيب إلى بيت كوسنغتون، وكان في قمة السعادة، فأعطى سائق سيارة الأجرة ثم فتح الباب الخلفي بالمفتاح الذي يحتفظ به. وقد كان البيت غارقاً في الظلام والصمت، وعندما توجّه جوسيب إلى غرفته لاحظ وجود تيار من الهواء فظن أن إحدى النوافذ مفتوحة، وعندما وضع المفتاح في ثقب الباب أحسّ بشيء معدني في ظهره، ثم سمع صوتاً آمراً يقول له: ارفع يديك إلى أعلى ولا تصرخ.

فرفع جوسيب يديه بسرعة لأنه لم يكُن يريد المخاطرة، وفي الواقع لم تكُن لديه فرصة كي يدفع عن نفسه الخطر المحدق به؛ فقد انطلقت رصاصة ثم أخرى وسقط جوسيب على الأرض غارقاً في دمه.

* * *

رفعت بيانكا رأسها عن الوسادة وهي تسأل نفسها:

هل كان ذلك صوت طلقات نارية؟

لقد كانت واثقة من أنها سمعت صوت طلقات نارية، فانتظرت لحظات ثم قرّرت أنها ربما كانت مخطئة، فرقدت على السرير مرّة أخرى.

* * *

الفصل الثاني عشر

علمت الآنسة ماربل بخبر مقتل جوسيب من الآنسة نايت، ولم يكُن الخبر مفاجأة، ثم سألت شيري عما إذا كانت قد سمعت بالخبر أم لا، فاتضح أن شيري لم تقابل أحداً. ثم قالت شيري: لا أدري ما إذا كانت غلاديس قد التقت به قبل سفره إلى لندن أم لا.

- ولماذا كانت تريد مقابلته؟

- لقد قالت لي كلاماً لم أصدّقه، وأعتقد أنها كانت تتذرع بحجة لمقابلة الخادم الإيطالي.

- وماذا قالت؟

- قالت إنها كانت قريبة من المكان الذي وقع فيه الحادث، كانت قريبة من مارينا والسيدة بادكوك، وإنها شاهدتها وهي تسكب الشراب متعمّدة لتفسد ثوبها.

* * *

نظر الشاب الأمريكي حوله بحيرة ثم سأل العجوز

التي صادفها في طريقه عن بلتهايم كلوز حيث تقيم غلاديس ديكسون، فقالت العجوز: اتجه يميناً ثم يساراً واستمرّ في طريقك حتى تصل إلى رقم ١٦ حيث تقيم غلاديس، ولكن لماذا لا تقابلها في مشرب الأستوديو حيث تعمل؟

- لأنها لم تذهب إلى الأستوديو ونحن في حاجة اليوم إلى خدماتها في بيت كوسنغتون لقلّة الأيدي العاملة.

فقالت العجوز: هل ذلك بسبب مقتل الخادم الإيطالي؟

وفوجئ الشاب فلم يقُل شيئاً على الفور، ولكنه قال بعد ذلك: إن الأخبار تنتشر هنا بسرعة فظيعة.

- هذا حق، كما أن سكرتيرة السيد راد ماتت نتيجة أزمة مفاجئة أمس.

فهزّ الشاب رأسه وهو يقول: هذا شيء فظيع. على أي شيء نحن مقدِمون؟

* * *

ذهب المساعد تيدلر إلى بيت غلاديس ديكسون فعلم من شقيقتها الصغرى أنها حصلت على إجازة من عملها لمدة أسبوع وأنها سافرت إلى مكان غير معلوم فطلب منها إبلاغه بعنوانها بمجرّد وصول رسالة منها، ثم عاد إلى مركز الشرطة ليخبر المفتش كرادوك بما توصّل إليه ثم قال: السيدة

مارينا في حالة عصبية شديدة، كما أن جاسون راد أرسل بقايا القهوة التي قُدمت إلى مارينا للتحليل فاتضح أنها كانت مخلوطة بسمّ قاتل.

فقال كرادوك: في هذه الحالة لا بدّ لي من مقابلة جاسون لأسأله عن هذه الواقعة.

* * *

عزا جاسون راد عدم إخباره الشرطة بشأن القهوة المسمومة إلى عدم رغبته في إثارة أعصاب زوجته التي تعيش في رعب قاتل، ثم توسّل إلى المفتش كي يسمح له بالابتعاد مع زوجته عن ذلك المكان، ولكن المفتش صارحه باستحالة ذلك قبل انتهاء التحقيق، ولا سيّما بعد التطورات الجديدة، فصاح جاسون قائلاً بغضب: ولكن حياة زوجتي مهدّدة بالخطر.

- سوف نشدّد الحراسة على البيت.

وعندما خرج المفتش توجّه جاسون راد إلى غرفة زوجته التي كانت مستلقية على الأريكة فسألته قائلة: هل كان ذلك هو المفتش كرادوك؟

- نعم.

- وما سبب قدومه؟

- إيللا وجوسيب.

- هل قبضوا على قاتل جوسيب؟

- ليس بعد.

- ألم يقُل شيئاً بشأن مغادرتنا لهذا المكان؟

- بلى، قال إن ذلك غير ممكن الآن.

- لماذا؟ هل يريد الانتظار حتى يظفر القاتل بي؟

- سوف يتخذ كل الاحتياطات اللازمة لحمايتك.

- لقد قال ذلك من قبل، ومع ذلك قُتلت إيللا ثم جوسيب، وسوف يقتلونني في النهاية!

نظر جاسون راد إلى زوجته بإعجاب وهو يراقب تعبيرات وجهها، وفي تلك اللحظة كان يفكر بعقلية المخرج الذي يشاهد براعة الممثلة وقدرتها على التعبير عن انفعالاتها، ثم قالت مارينا بانفعال: ألن نتمكّن من مغادرة هذا المكان الرهيب؟

- سوف أوفّر لك كل الحماية اللازمة يا عزيزتي.

- هل أنت واثق من أنك ستحميني من أي خطر يتهدّدني؟ أرجو أن تناولني الأقراص المهدّئة؛ أريد شيئاً يهدّئني.

- مارينا، أرجو أن تقتصدي في استخدام هذه الأقراص.

- لم تعُد تلك الأقراص تؤثر في بعض الأحيان. هل أنت على وعدك يا جنكز؟ ألن تتخلى عنّي أبداً؟

- نعم، لن أتخلى عنك حتى آخِر لحظة في حياتي.

* * *

عندما جاء المفتش كرادوك لزيارة الآنسة ماربل في اليوم التالي كان مهموماً للغاية وطلب من الآنسة ماربل أن تعدّ له قدحاً من الشاي. ثم دار الحديث حول تطورات التحقيق فقال المفتش: ألا ترَين احتمال ارتكاب الآنسة نايت لهذه الجريمة؟

فقالت العجوز بدهشة: ولماذا تفعل الآنسة نايت ذلك؟!

- لأنها أكثر الشخصيات بُعداً عن الشبهات، أليست هذه هي وجهة نظرك دائماً؟

- بالتأكيد ليست هذه هي نظريتي، بل لقد كنت أقول إن القاتل غالباً ما يكون الزوج أو الزوجة.

- أتعنين جاسون راد؟

- أنا أتكلم بصفة عامة، ولكن لنعُد إلى الحديث الجادّ. هل تستطيع أن تصارحني بمعلوماتك عن ذلك الخادم الإيطالي الذي ذهب إلى لندن في اليوم الذي لقي فيه مصرعه؟

- لقد وصل إلى لندن في منتصف الثانية عشرة صباحاً، ثم اختفى عن الأنظار حتى شوهد في الثانية إلا الربع وهو يدخل المصرف ليودع في حسابه خمسمئة جنيه. من الواضح أنها الدفعة الأولى التي تسلّمها نظير سكوته.

ففكّرت الآنسة ماربل قليلاً ثم قالت: ديرموت يا ولدي العزيز، هل سجّلت في دفتر مذكّراتك ما قالته هيثر بادكوك لمارينا وهي تصافحها؟ لا شك أن لديك أقوالاً مختلفة على لسان شهود الحادث.

فراجع كرادوك دفتر مذكّراته ثم قال: لقد كانت السيدة بادكوك مسرورة للغاية فقالت شيئاً قريباً من هذه الكلمات: "لا أستطيع أن أصوّر لك مدى سعادتي، ربما لم تتذكّري ما حدث في برمودا منذ سنوات. لقد غادرت فراش المرض رغم إصابتي بالجديري لأتمكن من رؤيتك والحصول على توقيعك. كان يوماً من الأيام الخالدة التي لا أستطيع أن أنساها في حياتي".

- حسناً، أرى أنها أشارت إلى المكان دون تحديد التاريخ. وماذا قال راد؟

- قال إن السيد بادكوك أخبره بأن زوجته كانت مصابة بالإنفلونزا عندما أصرّت على مقابلة مارينا لتحصل على توقيعها على دفترها.

- وماذا قال السيد بادكوك؟

- قال إن زوجته كانت تحلم بلقاء مارينا وإنها غادرت فراش المرض حتى تحقق أمنيتها، ونظراً لأن الحادثة وقعت قبل زواجه بها فلم يهتم كثيراً بالأمر. والآن ما رأيك؟

- لديّ إحساس الآن بأنني أعرف لماذا أتلفت ثوبها الجديد.

- مَن؟ السيدة بادكوك؟

- الكثير منا يخطئون في استعمال الضمير، وعندما قالت غلاديس إنها شاهدتها وهي تتلف ثوبها الجديد عن عمد لم يسأل أحد عما تعنيه. الحمد لله أن تلك الفتاة الثرثارة في مكان آمن الآن، إنها في بورنموث.

- في بورنموث؟ وكيف عرفت عنوانها؟

- لأنني أنا التي أرسلتها.

- ماذا تقولين؟! أنت؟ لماذا؟

فقالت الآنسة ماربل بهدوء: لأنني ذهبت كي أراها في بيتها، ثم قدّمت إليها بعض المال وطلبت منها أن تقضي إجازتها دون أن تخبر أحداً بمقرّ إقامتها.

- ولماذا فعلت ذلك؟!

- لأنني أردت أن أحميها من القتل.

* * *

الفصل الثالث عشر

مرّ الدكتور هايدوك على الآنسة ماربل قبل قيامه بزيارة مرضاه، فأسعده أن يراها تتمتع بصحّة جيّدة، وقبل انصرافه قال لها: أراك في أحسن صحّة، ويبدو أن صحّتك تتحسن عندما تُشغَلين بحلّ الجرائم المعقّدة. والآن أستأذنك للقيام بواجبي كطبيب؛ فلديّ عشر حالات حصبة ألمانية، وستّ حالات سعال ديكي، واشتباه إصابة بالحمى القرمزية بالإضافة إلى الحالات المعتادة.

تابعت الآنسة ماربل الطبيب وهو ينصرف شاردة الذهن، ثم رفعت سمّاعة الهاتف واتصلت بالسيدة بانتري لتقول لها: دوللي، هل صحيح أنك قلت للمفتش كرادوك إن هيثر بادكوك كانت تروي لمارينا غريغ قصة طويلة عن إصابتها بالجديري ورغم ذلك غادرت فراشها لتحصل على توقيع مارينا على دفترها؟

- نعم.

- هل أنت متأكدة من أنها قالت الجديري ولم تقُل

السعال الديكي؟

- السعال الديكي؟ نعم متأكدة؛ إذ لو أنها كانت مصابة بالسعال الديكي لما احتاجت إلى وضع المساحيق على وجهها.

وأعادت الآنسة ماربل السمّاعة إلى مكانها دون أن تنهي المكالمة في حين دخلت شيري الحجرة لتقول لها: هل سمعت بما حدث لآرثر بادكوك؟

- آرثر بادكوك؟! ما الذي حدث له؟

- لقد ألقى رجال الشرطة القبض عليه وهو في المركز الآن.

- متى حدث ذلك؟

- هذا الصباح. لقد اكتشفوا أنه كان متزوّجاً بمارينا غريغ.

فصاحت الآنسة ماربل بدهشة قائلة: آرثر بادكوك كان زوجاً لمارينا غريغ؟!

- هذه هي القصة. لم يكُن أحد يعرف ذلك حتى جاء السيد آبشو من الولايات المتحدة حاملاً الأنباء. لقد تزوّجها في بداية حياتها قبل أن تصبح نجمة مشهورة، وعندما تمّ الطلاق غيّر اسمه إلى آرثر بادكوك وجاء إلى إنكلترا.

فرفعت الآنسة ماربل سمّاعة الهاتف لتتصل بالقس

ثم قالت: أريد أن أسألك عن شيء مهم، هل تذكر ليلة الحفل الذي ماتت فيه هيثر بادكوك؟ لقد كنت تقف قريباً من السيدة مارينا لحظة وصول السيد والسيدة بادكوك، أليس كذلك؟

- بلى، كنت أقف أمامهما مباشرة.

- هل تذكر أن هيثر كانت تتحدّث عن إصابتها بمرض في برمودا عندما خرجت لتلتقي بمارينا؟

- نعم، أعتقد هذا. لقد كانت تقول إنها أُصيبت بالحصبة، وهي ليست الحصبة الحقيقية وإنما الحصبة الألمانية.

فشكرته ووضعت السمّاعة، ثم طلبت من شيري استدعاء إحدى سيارات الأجرة على وجه السرعة لتتوجّه إلى بيت كوسنغتون.

* * *

عندما وصلت إلى البيت الذي كان مسرحاً للجرائم الأخيرة استقبلها خادم كهل، وعندما أخبرته برغبتها في مقابلة السيد راد أخبرها بأن السيد راد لا يقابل أحداً دون موعد سابق، فكان ردّها: في هذه الحالة سوف أنتظره حتى يأذن لي بمقابلته.

وغاب الخادم الكهل عن بصرها لحظات، ثم جاء هيلي بريستون السكرتير الشاب فقالت الآنسة ماربل عند

رؤيته: لقد رأيتك من قبل في المنطقة السكنية الحديثة عندما سألتني عن بلتهايم كلوز.

فنظر إليها الشاب وهو يقول بمرح: أعتقد أنك فعلت ما بوسعك كي ترسلي بي إلى الاتجاه الخطأ.

فتصنّعت الآنسة ماربل الدهشة وهي تقول: يا إلهي! هل فعلت ذلك حقاً؟ هل أستطيع أن أرى السيد راد؟

- السيد راد مشغول للغاية ولن يستطيع أن يقابل أحداً هذا الصباح. أنا سكرتيره، فهل أستطيع أن أؤدّي لك أي خدمة؟

- أريد مقابلة السيد راد شخصياً، وسوف أنتظر هنا ولو اضطُررت إلى المبيت.

فتوارى هيلي بريستون عن الأنظار قليلاً، ثم عاد مع رجل ضخم يرتدي سُترة من التويد وقال: هذا هو الدكتور غيلشيرت يا آنسة...

- آنسة ماربل.

ثم انسحب هيلي في حين قال الدكتور غيلشيرت: لقد سمعت عنك الكثير من الدكتور هايدوك.

- إنه صديق قديم.

- والآن، ما سبب إلحاحك على لقاء السيد راد؟

- لا بدّ أن أراه لأمر هام.

- في هذه الحالة سوف أخبرك لماذا لا يستطيع السيد راد أن يقابلك. لقد ماتت زوجته في أثناء نومها في الليلة الماضية.

- ماتت؟! وما هي أسباب الوفاة؟

- لقد تناولت جرعة كبيرة من الحبوب المنومة.

- ألا يحتمل أنها انتحرت؟

- هذا أمر جائز، ولكنني أستبعد هذا الاحتمال.

- ومن الجائز أيضاً أن يكون أحدهم قد أعطاها هذه الجرعة المضاعفة.

فهزّ الطبيب كتفيه دون أن يجيب، وعندما كررت الآنسة ماربل سؤالها قال بعد تردّد: أنا أستبعد هذا الاحتمال. على أية حال هذا أمر يصعب إقامة الدليل عليه.

فقالت الآنسة ماربل بهدوء: أهكذا؟ أنا شديدة الأسف، ولكن لا بدّ لي من مقابلة السيد راد.

فتأمّلها الدكتور غيلشيرت بعض الوقت ثم قال: حسناً، انتظري هنا.

* * *

وقف جاسون راد وراء مكتبه مدهوشاً وهو يتابع بنظراته العجوز التي تتقدم نحوه، ثم قال لها: هل طلبت

مقابلتي؟ هل من خدمة أستطيع أن أؤديها لك؟

- يؤسفني سماع خبر وفاة زوجتك، وأقدّر لحظات الأسى التي تمرّ بها الآن، ولكنني كنت مصرّة على مقابلتك لأجنّب رجلاً بريئاً الكثير من المتاعب.

- رجل بريء؟ أنا لا أفهم شيئاً.

- إنه آرثر بادكوك؛ إن رجال الشرطة يستجوبونه الآن.

- أبشأن وفاة زوجتي؟ ولكن هذا سخف؛ فهو لم يقترب من البيت قطّ، كما أنه لا يعرف زوجتي.

- أعتقد أنه كان يعرفها؛ فقد تزوّجها ذات يوم.

- آرثر بادكوك؟! ولكنه كان زوج هيثر بادكوك.

- كان زوجاً لكل منهما، فقد تزوج مارينا في مطلع شبابها قبل أن تصبح ممثلة مشهورة.

هزّ جاسون راد رأسه نفياً وهو يقول: كان أول زوج لمارينا يُدعى ألفريد بيدل، ولم يدُم زواجهما أكثر من عام.

- لقد غيّر ألفريد بيدل اسمه بعد ذلك إلى بادكوك.

- حسناً، وماذا تطلبين منّي يا آنسة ماربل؟

- أريد أن تسمح لي بالوقوف على رأس الدرَج حيث

استقبلت زوجتك هيثر بادكوك.

- سوف أصحبك إلى المكان بنفسي.

وعندما أطلعها على المكان الذي كانت تقف فيه زوجته لتستقبل الضيوف وقفت الآنسة ماربل في نفس المكان بصمت وجاسون راد يتابعها بنظراته بدهشة، ثم رفعت العجوز يدها اليمنى قليلاً كأنها تصافح إنساناً، وبعد ذلك خفضت بصرها لترى الأشخاص الذين يصعدون الدرَج، ثم رفعت رأسها لتنظر أمامها مباشرة فرأت لوحة الأمّ للمصور الإيطالي بيلليني في حين توجد نافذة على كل من جانبَي اللوحة، ولكن الآنسة ماربل ركّزت نظراتها على اللوحة وقالت دون أن ترفع بصرها عنها: هل كانت اللوحة معلّقة في هذا المكان بصفة مستمرّة؟

- نعم.

- الآن فهمت كل شيء. إن الأمر في غاية الوضوح.

فقال جاسون راد بدهشة: في غاية الوضوح؟!

وسُمع رنين جرس الباب في الطابق الأرضي ثم بعض الأصوات، فقالت الآنسة ماربل: أنا أعرف هذا الصوت، أليس هو صوت المفتش كرادوك؟ لا شك أنه يرغب في مقابلتك. هلاّ دعوته لينضمّ إلينا هنا؟

فطلب جاسون راد من الخادم الكهل أن يُحضر

المفتش إلى الطابق العلوي، وعندما صعد المفتش ووقع بصره على الآنسة ماربل صاح بدهشة قائلاً: أنت؟! كيف أتيت؟

- بإحدى سيارات الأجرة. كان الأفضل أن نجلس في إحدى الحجرات المغلقة، ولكنني أرى أن هذا المكان أنسب؛ فهو المكان الذي وقع فيه الحادث وسوف يسهّل مهمتنا في فهم حقيقة ما حدث، ومنذ لحظات كنت أقول إن الأمر في غاية الوضوح. إن الطراز الذي كانت تتميز به هيثر بادكوك كان لا بدّ أن يلقى هذا المصير في يوم ما.

فقال جاسون راد بدهشة: أنا لا أفهم شيئاً على الإطلاق!

- سوف أوضح لك الأمر. عندما قصّت السيدة بانتري (التي كانت موجودة لحظة وقوع الحادث) ما شاهدته قالت لتوضح المعنى الذي تقصده بعض أبيات من قصيدة اللورد تنيسون عن السيدة شالوت، وهذه الأبيات تقول: «شُرخت المرآة من جانب إلى الجانب الآخر، فصاحت السيدة شالوت قائلة: لقد حلّت اللعنة فوق رأسي»! هذا ما شاهدته السيدة بانتري، أو ما خُيّل إليها أنها شاهدته. لقد شاهدت زوجتك تتحدث مع هيثر بادكوك وشاهدت نظرة فزع على وجه زوجتك، ولكن زوجتك لم تكُن تنظر إلى وجه هيثر بادكوك بل كانت تتأمل هذه اللوحة، وهي لوحة تصوّر الأم السعيدة الضاحكة وهي تحمل طفلها. وكان القضاء سوف

ينقضّ فوق رأس هيثر بادكوك، وكان الأمر قد قُضي عندما بدأت تتحدث عن الماضي.

فقال المفتش كرادوك: هل تستطيعين أن توضّحي ما تعنين؟

- هذا أمر لا تعرف عنه شيئاً بالتأكيد لأن أحداً لم يخبرك بما قالته هيثر بادكوك.

فقال المفتش محتجّاً: ولكن الجميع أخبروني مرات ومرات بأن...

فقاطعته قائلة: أجل، ولكنك لا تعلم لأن هيثر لم تخبرك.

- وكيف كانت تستطيع وقد وصلت بعد موتها؟

- كل ما نعرفه أنها غادرت فراش المرض لتقابل مارينا غريغ لتطلب توقيعها على دفترها.

- أعرف ذلك، وقد سمعت هذه الواقعة مرات عديدة.

- ولكنك لم تسمع الجملة الحاسمة لأن أحداً لم يستطع أن يقدّر أهميتها. لقد كانت هيثر بادكوك مريضة بالحصبة الألمانية.

فصاح المفتش قائلاً بدهشة: الحصبة الألمانية؟ وما علاقة ذلك بموضوعنا؟

- الحصبة الألمانية مرض خفيف لا يكاد المريض يشعر به، ومن أعراضه أن يظهر بعض الطفح على الوجه، ولكن يمكن تغطيته بالمساحيق، كما يكون ارتفاع درجة الحرارة طفيفاً، ولذا يستطيع الإنسان خلال فترة المرض أن يغادر الفراش ويقابل الناس إذا أراد ذلك. وعند تكرار كلمة المرض لم يتنبه السامعون إلى نوعه فقال السيد راد إنه الإنفلونزا، ولكن هيثر بادكوك قالت لمارينا إنها كانت مصابة بالحصبة الألمانية عندما أصرّت على مغادرة الفراش لتراها، ومن المعروف أن الحصبة الألمانية مرض سريع العدوى، وإذا أُصيبت به سيدة حامل في مطلع شهور الحمل تكون العواقب وخيمة، فإما أن يصاب الطفل عند مولده بالعمى أو بالجنون.

ثم التفتت الآنسة ماربل نحو جاسون راد موجّهة إليه الحديث قائلة: أعتقد أن ما أقوله صحيح يا سيد راد، فعندما وضعت زوجتك طفلاً مجنوناً أُصيبت بصدمة شديدة لم تبرأ من آثارها قطّ؛ فقد كانت متشوّقة إلى إنجاب طفل، وعندما جاء المولود لم تستطع أن تنسى المأساة.

فقال جاسون راد: هذا صحيح، لقد أُصيبت مارينا خلال الفترة الأولى من الحمل بالحصبة الألمانية، وأخبرها الطبيب أن ذلك كان السبب في ولادة طفل مختلّ العقل، ولكن مارينا لم تعرف قطّ من أين جاءتها العدوى.

فقالت الآنسة ماربل: تماماً، لم تعرف مارينا حتى

جاءت تلك السيدة الغريبة لتروي لها القصة بسرور فَخورةً بما فعلته. لم تكُن هيثر تقصد شرّاً، ولكنها دفعت حياتها ثمناً لاعتزازها بواقعة حدثت في حياتها، وهي لا تدري مدى ما سبّبته لمارينا من عذاب طوال الفترة الماضية. يجب أن تتصور شعور مارينا في تلك اللحظة. أعتقد أنها ظلّت طَوال تلك السنين تحقد على الشخص المجهول الذي تسبب في تلك المأساة، وفجأة تجد نفسها وجهاً لوجه أمام ذلك الشخص، وكان ذلك فوق طاقتها على الاحتمال، ولم تستطع أن تعطي نفسها فترة للتفكير والاسترخاء؛ فقد وجدت أمامها السيدة التي دمّرت حياتها تتحدث بسعادة غامرة، ففكرت في الثأر منها وقرّرت أن تقتلها. ولسوء الحظ كان في متناول يدها وسيلة القتل وهي أقراص الكالمو التي تحملها في حقيبتها، ولذا كان الأمر سهلاً. ولو أن أحداً رآها تضع في كأسها الأقراص المهدّئة التي اعتادت تناولها فلن يفكّر في شيء، ولكن من المحتمل أن شخصاً رآها، وإن كنت أشكّ في ذلك، وأعتقد أن الآنسة زايلنسكي خمّنت ما حدث. ومن هنا كان تعليقي على أن البعض يخطئ في استخدام الضمير، وكنت أعني بذلك قول غلاديس ديكسون بأنها سكبت الكأس على ثوبها متعمّدة، فالضمير هنا كان يعود على السيدة غريغ وليس على هيثر بادكوك كما فُهم من كلام غلاديس.

توقفت الآنسة ماربل عن الحديث برهة ثم استطردت قائلة: هذه هي الجريمة الكاملة لأنها ارتُكبت دون تفكير أو

تدبير سابق. لقد فكرت مارينا في أن تقتل الشخص الذي تسبب في تعاستها في نفس اللحظة التي اكتشفته فيها، وبعد دقائق تمّ لها ما أرادت. وفي تلك اللحظة لم تدرك مارينا خطورة ما أقدمت عليه، ولكنها أدركت ذلك فيما بعد، وعندئذ أُصيبت بالرعب؛ فقد كانت تخشى أن يكون قد رآها أحدٌ وهي تدسّ الأقراص في الكأس أو وهي تدفع هيثر متعمّدة كي تسكب الكأس حتى تستطيع أن تقدّم إليها الكأس المسمومة، ومن ثَمّ فكّرت في أن توهم الآخرين بأنها كانت المقصودة بالقتل. حاولت تجريب هذه الطريقة مع الطبيب أولاً ورفضت أن تسمح له بإخبار زوجها لأنها كانت تعرف أن زوجها لا يُخدع بسهولة، ثم أقدمت على بعض الأعمال الصبيانية فكانت تكتب الرسائل لنفسها وتضعها في أماكن غريبة وتختار لذلك الأوقات المناسبة، وكانت هي التي دسّت السمّ في قدح القهوة.

فقال جاسون راد معترضاً: هذه مجرّد نظرية افترضتها يا آنسة ماربل.

فقالت الآنسة ماربل وهي ترميه بنظراتها: تستطيع أن تقول ذلك إن شئت يا سيد راد، ولكنك تعلم جيّداً أنني أقول الحقيقة، وأنت تعرف لأنك عرفت منذ البداية، تعرف لأنك سمعتها تشير إلى الحصبة الألمانية، وكنت حريصاً على حمايتها، ولم تفكّر في النتائج التي يمكن أن تتكرّر، ولكن جرائم أخرى قد ارتُكبت مثل مصرع جوسيب الذي يبتزّ المال بالتهديد، ثم مصرع إيللا زايلنسكي التي اعتُقد

أنك كنت مولعاً بها. لقد كنت شديد الحرص على حماية مارينا، كما كنت حريصاً على منعها من الاستمرار في طريق الشرّ، وكان كل هدفك أن تأخذها إلى مكان آخر بعيد، كما كنت تحاول أن تراقبها طَوال الوقت حتى تتأكّد من أنها لا تتمادى.

والتزمت الآنسة ماربل الصمت برهة وأخذت تقترب من جاسون راد حتى وضعت يدها فوق يده ثم استطردت قائلة بعطف: أنا شديدة الأسف من أجلك وأُدرك مدى ما تشعر به من الحزن. لقد كنت تحبها حباً شديداً، أليس كذلك يا سيد راد؟

فأدار جاسون رأسه قليلاً ثم قال: ليس فيما تقولينه شيء جديد، هذه معلومات يعرفها الجميع.

فقالت الآنسة ماربل برقّة: لقد كانت مخلوقة جميلة للغاية، وكانت لديها موهبة ضخمة. كانت تملك طاقة كبيرة للحب والكراهية، ولكنها لم تكُن تعرف الاستقرار. ومن المحزن لأي إنسان أن لا يعرف الاستقرار، ولم يكُن باستطاعتها أن تطرح الماضي وراء ظهرها وتدير وجهها لتقابل المستقبل كما هو في عالم الواقع. لقد كانت ممثلة عظيمة وامرأة فاتنة، ولكنها كانت سيئة الحظ، ويا له من دور عظيم ذلك الذي لعبته في فِلم «ماري ملكة اسكتلندا»! لن أنسى ذلك الفِلم ما حييت.

وفي تلك اللحظة ظهر المساعد تيدلر على الدرَج

ووجّه حديثه إلى المفتش كرادوك قائلاً: سيدي، هل أستطيع أن أتحدّث إليك قليلاً؟

فقال المفتش: سأعود بعد قليل.

* * *

خاتمة

قالت الآنسة ماربل للمفتش قبل أن يهبط إلى الطابق الأرضي: تذكر أنه لا دخل لآرثر المسكين فيما حدث، فقد جاء إلى الحفل لمجرّد رغبته في إلقاء نظرة على تلك الفتاة التي تزوجها منذ زمن طويل. وأستطيع أن أقول إنها لم تعرفه، أليس كذلك؟

وكان سؤالها الأخير موجّهاً لجاسون راد الذي أجابها قائلاً: لا أظن أنها تعرّفت عليه. إنها لم تقُل لي شيئاً، ولا أعتقد أنها اكتشفت شخصيته.

فقالت الآنسة ماربل: على أية حال هو بريء من تهمة قتلها أو ارتكاب جُرم من هذا القبيل، فتذكّر ذلك.

قالت ذلك للمفتش قبل أن يغيب عن الأنظار، فأجابها المفتش قائلاً: لن يتعرض لأي خطر، ولكننا بعد أن اكتشفنا أنه كان زوجاً لمارينا غريغ كان لا بدّ لنا من التحقق من ذلك. لا تقلقي عليه يا عمة جين.

ثم التفتت الآنسة ماربل نحو جاسون راد الذي كان شارد الذهن يحملق إلى الفضاء وقالت له: هل تسمح لي بأن

ألقي نظرة أخيرة عليها؟

فتردّد السيد راد برهة ثم أومأ برأسه قائلاً: نعم، تستطيعين أن ترَيها. يبدو عليك أنك تفهمينها جيداً.

ثم استدار جاسون راد والآنسة ماربل تتبعه، فقادها إلى غرفة نوم كبيرة ثم أزاح الستائر جانباً فبدت مارينا غريغ راقدة فوق سريها مغمضة العينين يداها متشابكتان فوق صدرها، وهكذا تخيلتها الآنسة ماربل مثل السيدة شالوت راقدة في القارب الذي كان يحملها إلى كاميلوت، فقالت الآنسة ماربل برقّة: كان من حسن حظها أن تتناول جرعة مضاعفة؛ فقد كان الموت سبيلها الوحيد إلى النجاة. نعم، كانت محظوظة للغاية بأنها تناولت تلك الجرعة القاتلة. أم هل تعتقد أن أحداً أعطاها لها؟

والتقت عيناه بعينيها فلم يتكلّم على الفور، ثم قال بعد قليل بصوت منكسر: لقد كانت فاتنة، وقد تعذّبت كثيراً.

فألقت الآنسة ماربل نظرة أخيرة على الجسد الهامد ثم تمتمت بالسطور الأخيرة من القصيدة: «كان وجهها يفيض جمالاً، عسى أن يشمل الله برحمته السيدة شالوت».

* * *

(تمت)